

المناصفات في بلاد الشام مثال من العلاقات السلمية بين الفرنج والمسلمين

د. خالد سليمان الشريدة
مجلس أبا ظبي للتعليم

المناصفات في بلاد الشام : مثال من العلاقات السلمية بين الفرنج و المسلمين
د.خالد سليمان الشريدة
مجلس أبوظبي للتعليم

ملخص الدراسة:

المناصفات أو المقاسمات ظاهرة إدارية مشتركة بين طرفي النزاع خلال الحروب الصليبية على بلاد الشام. هذه الظاهرة التي تعد دليلا لا ينكره أحد على الحوار في العلاقات والالتزام بالواقعية بين الممالك الإسلامية والصليبيين، لا كما تنظر إليها بعض الآراء على أنها علاقات صراع متواصل لا أمن فيها ولا مصلحة. ولا سيما في المناطق الحدودية الفاصلة بينهما، والتي تشكل في معظمها أرضاً سكنية وقرى زراعية منتجة فرضت هذه الأرياف وغيرها من المصالح المشتركة وجودها على واقع التعامل بين الطرفين، لذا أثرت بحث طبيعة هذه العلاقة من خلال خلفية تاريخية هادفة لحسن العلاقة وامتدادها . وبنيت مفهوم المناصفة وتطورها التاريخي بتعدد ألفاظها وأشكالها، وتناولت أسباب اتباع نظام المناصفات وأهمية ذلك وأهم المناطق التي شملها نظام المناصفة ، ثم نشوء العلاقات الودية بين المتناصفين وتطورها ، وصور قوانين المناصفات وشروطها من خلال معاهدات طالما عقدت بالمصالحة بين الطرفين الإسلامي والصليبي، هذه المناصفة التي كانت سائدة منذ أن وطئت أقدام الصليبيين أرض الشام سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٧م. إذ حدد قانون المناصفة طبيعة العلاقة بين الطرفين، بحيث لا يقطع ويقرر طرف في أمر دون استشارة وعلم الطرف الآخر، وتناولت أخيرا إدارة المناصفات القائمة على تنفيذ هذا القانون .

٨/ الخلفية التاريخية للمهادنات بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام :

طالما أفاضت لنا الدراسات بكم كبير من البحث والتنقيب في الاتجاه العسكري بين مختلف الأطراف المتصارعة خلال العصور الوسطى عامة، وفترة قرنين من الزمان خلال مرحلة الحروب الصليبية في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والسابع عشر الميلاديين على وجه الخصوص، وربما عند هؤلاء الكتاب ما يعذرهم نظراً للروح العدائية المدونة من قبل كل طرف تجاه الطرف الآخر من المسلمين والصليبيين عند بدء هذه الحروب، وزيادة أعداد القتلى من الطرفين على أرض الشام خاصة، فالبابا بدأ علاقته بالمسلمين من خلال خطابات تشجع على حرب مقدسة في نظره، ولأهمية السلطة الدينية خلال تلك المرحلة، طبعت كتابات المؤرخين الصليبيين المعاصرين للحرب بطابع العداء المتواصل للمسلمين، الذي أجبر الغرب - على حد قولهم - على تجنيد الجنود وتجيش الجيوش منذ مؤتمر كليرمونت (Clermont) في فرنسا سنة ١٢٩٠هـ / ١٠٩٥م، هذه الجيوش التي جاءت لتخليص كنيسة القيامة وتمجيد أرض وعدوا بها حسب معتقدتهم،^(١) وهذا الاتجاه قابله طابع عام لدى الطرف الإسلامي وانطلاقاً من مبدأ دفع العدوان، أن الحرب هي محرك الحدث التاريخي وشر لا بد منه في فكر قادتهم، وفي اعتقادي أن بعض الكتاب قد يجد في نفسه علواً ورفعة إذا ما تناول هذا الاتجاه وقدمه على غيره في كتاباته ومؤلفاته، وكأن الحرب باعتقاده هي إنكار للذات وتحقيقاً للمصالح والرغبات العامة التي تخص كل فرد في المجتمع المحيط، رغم ما تؤدي إليه

١- انظر : الصوري، وليام (William of Tyre) (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) تاريخ الحروب الصليبية. الأعمال المنجزة في ما وراء البحار، ج ٢، ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، ط ١ (١٩٩٠) ج ١ ص ٩٩-١٠٠، فوشية الشارترى (Foucher de Charters)، تاريخ الحملة على بيت المقدس، ترجمة د. زياد العلي، دار الشروق، عمان ط ١ (١٩٩٠م)، ص ٢١-٢٧

هذه الحرب من قتل ودمار^(١)، وهكذا تكررت الخطب ورفع الشعارات التي أوججت النفوس من كلا المعسكرين فصبغت الكتابات بواقعهما العسكري وكأن كلماتها سيوف تصنع النصر أكثر منه واقعا سلميا متصالحا في بعض فتراته، وأغفلت وتغافلت عن هذه الاستثناءات من حالات السلم في تلك العلاقة، فيبدو أن هناك حسن جوار ومسالمة وسلاما قد ساد بين المسلمين وجوارهم في بلاد الشام منذ مطلع الحكم الإسلامي لهذه البلاد في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، فأبوبكر رضي الله عنه يوصي قادة الفتح بالإحسان لعدوهم وعدم العبث بممتلكاتهم ويقول: "ستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم"^(٢) وقد أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأمان لأهل إيلياء واللد، أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وعقائدهم "وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن"، وأعطاهم حرية التنقل والإقامة^(٣)، ويذكر أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قد عقد ثلاث معاهدات سلمية مع الإمبراطورية البيزنطية لفرض الأمن والاستقرار والسلام في بلاد الشام^(٤).

١- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين. تحقيق جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة (١٩٦٤م)، ص ٧٧، ٦٧، ٧٨.

٢- الواقدي، أبي عبد الله محمد بن عمر (ت ٢١٩هـ / ٨٢٣م) فتوح الشام. دار الجيل، بيروت، لبنان (١٩٧٠م)، ص ٨.

٣- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) تاريخ الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ١٠ ج. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، (١٩٧٩م) ج ٣، ص ٦٠٩.

٤- إبراهيم بن حمود المشيقيح، المهادنات بين معاوية بن أبي سفيان والبيزنطيين في القرن الأول الهجري / القرن السابع الميلادي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، ع ١٠، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١٣١-١٤٩.

وهكذا كانت علاقة المعسكرين الصليبي والإسلامي - الأيوبي والمملوكي - في بلاد الشام الهدف الأول في مقصد الصراع، حيث تخللت فترات هذا الصراع حالات سلم واسترخاء طالما سعى إليها الطرفان وفرضتها الضرورة لتحقيق السلام والأمن للأرض والإنسان على حد سواء، حيث وجدت بلاد حدودية خاضعة لحكم الطرفين وتمت إدارتها مناصفة، وقسمت غلتها بينهما بالتساوي، وقامت هذه الإدارة وفق قوانين متفق عليها،^(١) حيث تزدهر معها حركة التجارة وتستمر دون انقطاع ليكون معها التجار والقادمون إلى هذه المناطق آمنين مخفورين بالحراسة من كلا المتعاقدين،^(٢) وهذا ربما للحاجة الماسة لصناعات بعضهم وتبادلها فيما بينهم،^(٣) فيذكر أن الأوربيين قد أغرموا بالمنسوجات الشامية وخاصة لويس التاسع (Louis IX) الذي كلف جوانفيل (Joinville) أن يشتري له كميات كبيرة منها عند زيارته لطرطوس ليوزعها على المؤسسات الدينية في بلاده^(٤) وهكذا التوابل وغيرها^(٥).

١- جوني، وفاء، دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ٤٩٢-٥٦٩ هـ / ١٠٩٨-١١٧٤ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١ (١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م)، ص ١٠٢

٢- انظر: المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٧ م) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٧ م) ج ١ ص ٩٩٣، أحمد حطيط، المدلول التاريخي لنصوص الهدن المعقودة بين المماليك والفرنج، هدنة عكا (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) نموذجاً، مجلة تاريخ العرب والعالم س ١٩، ع ١٧٩، أيار - حزيران ١٩٩٩ م / محرم - صفر ١٤٢٠ هـ، ص ٤٨.

٣- على الغمراوي، أضاء جديدة على العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والفرنج في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، مجلة الدارة، الرياض، ع ١٨، س ١٨، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ١٤١٢ هـ، ص ١٨٤ وما بعدها.

٤- الشامي، أحمد، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١ (١٩٨٥ م)، ص ٢٠٢.

٥- على السيد، علي محمود، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١ (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م) ص ٥٨، ٥٩.

ولأهمية هذه الروافد الاقتصادية جرى تنظيم عمليات الجباية وجمع الرسوم التي تشكل الرافد الرئيس لخزينة الدولة،^(١) وخطط لهذا الاتجاه السلمي في إدارة المناصقات من خلال مهادنات ومعاهدات يتقرر من خلالها رسم الحدود بين الطرفين واحترامها وعدم التعرض لها ويبحث مشاكل الأسرى والرهائن والطريقة التي تدار بها بلاد المناصقات، وتحديد الرسوم والضرائب ومعاملة الفلاحين على وجه الخصوص، وغيرها من القوائين التي تحدد المشتركات بين الأطراف في ظل حسن الجوار والمواصلة السلمية بين السلطة الإسلامية والممالك الفرنجية في بلاد الشام^(٢).

وبالإشارة إلى الفلاحين فيذكر أن عدد قرى بلاد الشام قد بلغت ست عشر ألف قرية، وسكان هذه القرى من الفلاحين، ويذكر أن البدو الذين لم يتأثروا بالصراع لوقوعهم على هامش هذه المناطق، أما الفلاحون فهم الفريسة السهلة، فتمسكوا بأرضهم، ليحدث التعايش السلمي بين الطرفين الصليبي والإسلامي - في بلاد المناصقات - على الحدود المشتركة فيما بينهما.^(٣) في الوقت الذي يشير فيه البعض إلى الرغبة بالمحافظة على بقاء الفلاحين في أراضيهم وهذا ما نصت عليه المعاهدات بين المسلمين والفرنج مثل معاهدة عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م بين الأشرف قلاوون والفرنج في عكا،^(٤) وقد ورد في نص هذه المعاهدة بالنص لكلا الطرفين: "إني والله وحق ديني ومعبودي أسلك في المعاهدة والمهادنة والمصافاة والمصادقة وحفظ الرعية طريق المعاهدين المتصادقين كف الأذية والعدوان عن الأنفس والأموال، ومتى خالفتهما أو نقضتها فأكون بريئاً من ديني واعتقادي ومعبودي"^(٥).

١- أحمد حطيط، المدلول التاريخي، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع ١٧٩، ص ٤٢.

٢- انظر: المقريري، السلوك، ج١، ص ٩٦ وما بعدها، على السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٦٧.

٣- قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الأيدولوجية - الدوافع - النتائج، منشورات ذات السلاسل، ط ٢ (١٩٩٣م)، ص ٢٠٢.

٤- على السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٥١.

٥- المقريري، السلوك، ج١، ق ٣، ص ٩٧.

٢/ مفهوم المناصفة والتطور التاريخي :

وردت صياغة هذا النظام الإداري بين طرفي النزاع خلال مرحلة الحروب الصليبية على بلاد الشام بألفاظ وأماكن عدة، من خلال النص التاريخي أولاً، وفي متن المعاهدات المعقودة بين مختلف الأطراف والتي أفرزت لنا مثل هذا النظام المثير للانتباه وشروطه فجاءت على الأغلب بكلمة مناصفة ثم مهادنة وموادعة ومقاسمة ومسالمة ومثالثة أو مشاطرة.

وقد يرد لفظان من هذه في موقع واحد، وخير من ينوع لنا في هذه الألفاظ القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م^(١).

وهكذا في مختلف المعاجم اللغوية، فيرجع ابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ / ١٣١١م أصل المصطلح لغويا إلى "نصف الشيء أخذ نصفه، والنصف هذا ربما ينسب للكيل، والإنصاف أي الموضع الوسط بين الوضعين، ورجل متناصف متساوي في المحاسن، وناصفه المال قاسمه على النصف والنصيف مكيال، والإنصاف إعطاء الحق، ويقال: انتصفت من فلان أخذت حقي كاملاً، والناصفة من الأرض رحبة بها شجر، لا تكون ناصفة إلا ولها شجر"^(٢).

ويعرّف لنا ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م "المناصفة بأنها وسط الشيء وهو وادٍ أو أودية صغار"^(٣)، ويبدو أن ياقوت قد التقى وابن منظور في هذا المعنى، حيث أشار ابن منظور في معجمه لهذا، أما القلقشندي والذي أفاض علينا بمعاهدات المناصفة، فيعرّف هذا النظام من خلال لفظ آخر يدعى الموادعة "وهي في نظره المسالمة والمصالحة وهي السكينة والوقار والصيانة عن القتال والراحة من تعب الحرب وكلفه"^(٤)، ويتفسير القلقشندي ربما كنا أقرب إلى المعنى المراد في دراستنا هذه، إذ

١- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ ج شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٩٨٧م) ج ١٤، ص ٣٠ وما بعدها.

٢- معجم لسان العرب، ١٥ ج دار صادر، بيروت (١٩٨٨م) ج ٩، ص ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤.

٣- معجم البلدان، ٥ ج دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٩٧٩م)، ج ٥، ص ٢٠٢-٢٠٣.

٤- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٢، البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٣م)، ص ٣٣٤.

كان هذا النظام - المناصفة - تجسيداً لواقع عاشته بعض ممالك الشام ومضافاتها، فكثيراً من الأراضي الشامية الحدودية المضطربة والمتنازع عليها بين المسلمين والصليبيين، والتي لم يستطع أحد الأطراف الاستئثار بها لنفسه بشكل قاطع، تم الاتفاق على الاستفادة المشتركة بها وتجنب مشاكلها، وذلك من خلال عمارتها واقتسام منتوجاتها بين المسلم والفرنجي وفلاح الأرض مثالثة.^(١)

ونود الإشارة هنا إلى اختلاف صور مثل هذه المقاسمات، فتتعدد النصوص التاريخية التي تشير إلى اتباع نظام المناصفة في الإدارة المشتركة، مع اختلاف الظروف التي أقر من خلالها تحقيق مصالح مختلف الأطراف، حيث ترد إشارات إلى اتباع هذا النظام في سواد العراق في أيام ملوك فارس لكثرة خيراته ووفرة مزارعه وغلاته، وإن كان هذا أقرب إلى الإدارة الذاتية منه إلى نظام المناصفة،^(٢) ويذكر أن شرحبيل بن حسنة^(٣) قد فتح طبرية سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م صلحاً وناصف أهلها في منازلهم وإقطاعات كنائسهم، وهكذا كانت سيرته في جميع مدن الأردن الشامية الأخرى^(٤).

١- انظر: ابن شداد، النوار السلطانية، ص ٢٠٧، الحايك، منذر، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج ٢، تقديم د. سهيل زكار، دار الأوتل (٢٠٠٦م) ج ١، ص ٨٨

٢- ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣١٠، ٣١١

٣- "شرحبيل بن حسنة العدوية بن عبدالله بن المطاع بن عمرو من كندة، هاجر إلى الحبشة الهجرتين، تميز بالشجاعة، جاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع صحابته رضوان الله عليهم فتح الأردن وساهم في فتوح الشام الأخرى، كان صريحاً لا يخشى في الحق لومة لائم توفي يوم اليرموك وقيل في طاعون عمواس سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م" انظر: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، دار الشعب، مصر (١٩٧٠م) ج ٢، ص ٣٩١، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٥٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م) (الاصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، مصر، دار نهضة مصر (١٩٧٢م) ج ٣، ص ٣٢٨

٤- "طبرية من أعمال الأردن في طرف الغور بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وحول بحيرتها كثير من القرى المتصلة والنخيل" انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٠، وللمزيد في تحديد أماكن المناصفة انظر هامش الصفحات اللاحقة في مناطق المناصفات.

أما خلال الحروب الصليبية فقد اختلفت الآراء على بداية المناصفات متى وأين، فيرى البعض أنها كانت في أيام الحملة الصليبية الثالثة سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م، أثناء مفاوضات صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد (Richard the Lionheart) حيث اتفقا على جعل اللد والرملة مناصفة^(١)، ويرجع ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م نظام المناصفة إلى أيام البرسقي ثم عماد الدين زنكي في أحداث سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م، حيث ناصف البرسقي الفرنج على جبل السماق وجعلت الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفة^(٢).

وتتبعنا نصوص المصادر المؤرخة لأحداث الحروب الصليبية، فوجدنا بين أسطرها ما يخالف هذا الرأي. وأعتقد أن أول إشارة وردت بحق نظام المناصفة والمقاسمة، وإن كان هناك اختلاف في التطبيق تعود إلى عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م حيث أورد ابن القلانسي المتوفى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م مفهوم المناصفة من خلال الاتفاق بين صنجيل (Raymond de Saint-Gilles) وفخر الملك بن عمار في طرابلس، أي منذ أن وطئت أقدام الجيوش الصليبية أرض الشام سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٧ م^(٣) وثاني إشارة تعود لأحداث سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م حيث تقرر في أمر طرابلس أن يكون للجنوبيين الثلث، والثلثان لريمند دو صنجيل

١- ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٢٣٤-٢٣٥، وابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، تحقيق جمال الدين الشيبال، مطبوعات دار إحياء التراث القديم، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة (١٩٥٣ م)، و ج٢ (١٩٥٧ م) و ج٣ نشر دار القلم، القاهرة (١٩٦٠ م) و ج٤ تحقيق حسنين محمد ربيع، مراجعة سيد عبدالفتاح عاشور، جامعة القاهرة (١٩٧٠ م)، ج٥، مركز تحقيق التراث، القاهرة (١٩٧٥ م)، ج٢، ص ٤٠٢، 'توفيق، عمر كمال'. الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (١٩٨٦ م)، ص ٢٢٠.

٢- زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج٢، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهرسه سامي الدهان، ج٢، دمشق، (١٩٥٤ م)، ج٣ (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م) ج٢، ص ٥٩٥-٥٩٦.

٣- تاريخ أبي يعلى المعروف بذيّل تاريخ دمشق، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت (١٩٠٨ م)، ص ١٤٧ علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٣، علي الغمراوي، أضواء جديدة على العلاقات الاقتصادية، مجلة الدارة، ع١، ١٤١٢ هـ، ص ١٦٩.

وللملك بلدوين (Baldwin I)، وتمت مناصفة بين الملك بلدوين حاكم بيت المقدس هذا وظهير الدين طغتكين أتابك دمشق، على منطقة السواد وجبل عوف "فاستقر الأمر بينهما على أن يكون السواد وجبل عوف أثلاثاً، للأتراك الثلث وللإفرنج وللفالاحين الثلثان، فأنعقد الأمر على هذه القضية"^(١)، وثمة إشارة إلى مناصفة أخرى بين بلدوين (Baldwin I) وظهير الدين سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م على مناطق البقاع والجولان،^(٢) وهكذا اتبع هذا النظام في أيام عماد الدين زنكي في عام ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م حيث التنظيم الإداري لمنطقة حارم وبعض أعمال حلب مناصفة مع الفرنج^(٣) وفي عهد ولده نور الدين محمود سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م تمت المناصفة بينه وبين الفرنج على بعض أعمال حلب وأنطاكية.^(٤) وناصف كما ناصف أبوه على حارم سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م^(٥) وتمت المناصفة بين نور الدين والفرنج على طبرية سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٢ م،^(٦) وهذه إشارات ودلائل واضحة على أن نظام المناصفة والمقاسمة قد عرفته ممالك الشام قبل الحملة الصليبية الثالثة سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م بعقود^(٧).

١- انظر: ابن القلانسي، ص ١٣٦، ١٦٤، علي الغمراوي، ص ١٦٩، الطحاوي، حاتم، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط ١ (١٩٩٩ م)، ص ٢٠٢، الشريدة، خالد سليمان، إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، عماد الدين للنشر والتوزيع، عمان (٢٠١١ م)، ص ٩١.

٢- ابن القلانسي، ص ١٦٥.

٣- أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج ٢، دار الجيل، بيروت (د.ت)، ج ١، تحقيق محمد حلمي أحمد، القاهرة (١٩٥٦-١٩٦٢ م)، ج ١، ص ٣٠-٣١.

٤- علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٤.

٥- ابن قاضي شعبة، محمد بن أبي بكر (ت ٥٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد بيروت (١٩٧١ م)، ص ١٤٩، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٣١، تحقيق سعيد عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة وفؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، ج ٢٧، ص ١٥٨.

٦- النويري، ج ٢٧، ص ١٥٨.

٧- الشريدة، إدارة بلاد الشام، ص ٩١-٩٢.

٣/ أسباب اتباع نظام المناصفت وأهمية ذلك:

اتباع المسلمون المقيمون على هذه الأرض برعاياهم وجيوشهم، والصليبيون الغازون الوافدون على هذه الأرض نظام المناصفة لحل كثير من المشاكل العالقة بين الأطراف المشاركة في إدارة بلاد الشام،. ويزعم الصليبيون أن لهم حقاً دينياً مقدساً، لا بد لهم من تخليصهم المسلمين، وإن أثبتت الوقائع التاريخية أن هذا الهدف أصبح ثانوياً على مدى أيام وجودهم في أطراف بلاد الشام،. واتفق الطرفان على المناصفة بعد نزاع وإزهاق للأرواح دون تحقيق نصر مؤكد لكلا الطرفين، ولا سيما في المناطق الحدودية الواقعة بين الدويلات الإسلامية والممالك الصليبية، إذ تبعت هذه المناطق أحياناً للإدارة الإسلامية، وتنازلت عن نصف إيراداتها وإدارتها للصليبيين، أو قد يحدث العكس دفعاً من كل منهما لشر الآخر.^(١) وكف أذاه، أي أن الأماكن التي يدور حولها الاختلاف تناصفوا عليها بتقريب وجهات النظر وتحقيق الغاية من التفاوض في فرض الأمن والاستقرار. فتكون مناصفة، وهذا ما يوضحه خطاب صلاح الدين إلى ريتشارد قلب الأسد سنة ٥٨٨هـ/١٢٩٢م بقوله: "مهما اختلفنا في قرية كانت مناصفة"^(٢) إذ كره الطرفان القتال، فيقول المؤرخ الصليبي المعاصر لهذه الحملات فوشيه الشارترى كشاهد العيان على هذه الحروب: "أيتها الحرب يكرهك الأبرياء، وتبئس الرعب في أوصال من يشاهدونك... الحرب ليست جميلة لقد رأيت المعركة واضطرب عقلي"^(٣)، وهذا ما جعل أتاك دمشق من قبل يعقد مثل هذا الاتفاق مع بلدوين حاكم بيت المقدس بمناصفتة على السواد وجبل عوف^(٤).

١- نفسه، ص ٩١.

٢- ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٢١٩-٢٢٠.

٣- فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة على بيت المقدس، ص ٦٥.

٤- رنسيमान، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت (١٩٦٩م) ج ٢، ص ١٥٧.

علي الغمراوي، أضواء جديدة على العلاقات الاقتصادية، مجلة الدارة، الرياض، ع ١٢، ١٤١٢هـ، ص ١٦٩.

ومثل هذه الاتفاقات عائد إلى ضعف حكام دمشق وعجزهم عن الدفاع عن حدودهم وحمايتهم مما أدى إلى معاناة الفلاحين بعدم توفر الأمن لنشاطاتهم اليومية^(١)، أو حتى عجز الطرفين عن مواصلة القتال والرغبة إلى السكون والراحة والاستقرار^(٢) ولا سيما إذا كانت هناك أخطار أخرى تهدد أحد الطرفين، فتهديد المغول للسلطان المملوكي المنصور قلاوون دفعه إلى عقد معاهدة عام ٦٨٠هـ / ١٢٨١م مع أمراء الإفرنج في بلاد الشام، وعقد معاهدة عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م مع فرسان الداوية "الهيكلين" في طرطوس، وعقد معاهدة عام ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م مع إفرنج عكا^(٣) ويرى النويري المتوفى سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م أن الصليبيين كانوا يأمنون بطبيعتهم الإقطاعية الإستعبادية الاشتغال بالزراعة بأنفسهم إذ كانت الزراعة في مجتمعاتهم الأوروبية لأتباع والأقنان والعبيد، فزرع لهم فلاحو بلاد الشام مقاسمة ومثالثة، واستمروا على هذه الحال طيلة الوجود الصليبي على أرض الشام.^(٤)

وتتمثل أهمية المناطق المناصفة في محاور عدة : أولها فرض الأمن والاستقرار ودرء خطر كل طرف تجاه الطرف الآخر، وثانيا في عمارة الأرض وبقاء أهلها فيها لأنهم يعرفون دقائقها وتفصيلها، فقد استمر الفلاحون في زراعة أرضهم واقتسموا الحصاد

١- انظر : علي الغمراوي. أضواء جديدة. مجلة الدارة، ع. ١، ص ١٧٠، جوني، وفاء. دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين ٤٩٢-٥٦٩ هـ / ١٠٩٨-١١٧٤م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م. ص ١٠٤، علي السيد. العلاقات الاقتصادية، ص ٤٤-٤٥.

٢- المقرئزي. السلوك ج. ١، ق. ٣، ص ٩٦٥، البقلي. التعريف، ص ٣٣٤.

٣- للمزيد انظر: ابن عبد الظاهر. محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور. تحقيق مراد كامل. القاهرة (١٩٦١م). ص ٤٥، علي السيد. العلاقات الاقتصادية. ص ٦٦.

٤- انظر : نهاية الأرب، ج. ٨، ص ٢٥٥، طرخان، إبراهيم. النظم الإقطاعية في الشرق الوسط في العصور الوسطى. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة (١٩٦٨م). ص ٢٤٢.

مع إدارتهم، وأدوا ما عليهم من رسوم كضريبة الرأس، ولم يكن للحروب أثر كبير على أوضاعهم المعيشية^(١)، وإذا ما تم صلح بين الطرفين نادى المنادي في المعسكرات والأسواق بإتمام الصلح وحرية الحركة والمبادلة والدخول دون عوائق إلى بلاد الطرفين، فتعم الفرحة والسرور عند كلا الطرفين^(٢) وثالثاً هناك أهمية أخرى لنظام المناصفة في الحفاظ على المنفعة الناتجة عن استمرار التبادل التجاري سارياً بين مختلف القوى والذي طغى تأثيره على أية اتجاهات أخرى عسكرية كانت أو سياسية^(٣) إذ يقول ابن جبير: "من أعجب ما يحدث أن نيران الفتنة تشتعل بين الفتنين مسلمين ونصارى. واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع"^(٤)، ويرى البعض أن موقف ابن جبير وحكمه هذا مبني على فترة قصيرة ومنطقة بعينها قد زارها. بعكس فترات أخرى تعرض فيها الفلاح والتاجر على حد سواء للقهر والظلم^(٥) ورابعاً لا ينكر ما لنظام المهادنة والمناصفة من تحقيق مصالح مشتركة، وتتمثل في عرض الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس (Andronicus I) ١١٨٣-١١٨٥م / ٥٧٩-٥٨١هـ على صلاح الدين اقتسام المناطق التي تم فتحها وتحريرها في بلاد الشام مقابل مساعدة يقدمها له لإذا طلبها، ولا

١- الطحاوي. الاقتصاد الصليبي، ص ٢٠٢، الحايك. العلاقات الدولية، ص ٨٩.

٢- ابن شداد. النوادر السلطانية، ص ٢٣٥.

٣- الحايك. العلاقات الدولية، ص ٨٧.

٤- الرحلة، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، ليدن، مطبعة بريل، ط ٢ (١٩٠٧ م). ص ٢٦٠، عبد المجيد بهيني. أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصليبية من خلال رحلة ابن جبير (النصوص - التوظيف -

الواقع التاريخي) مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط ع ١١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ١٨٤.

٥- ابن عبد الظاهر. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ط ١ (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) ص ٣٠٩، القلقشندي. صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٩، بهيني. أوضاع المسلمين، ص ١٨٤، ١٨٧، أحمد حطيط، المدلول التاريخي، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع ١٧٩، ص ٤٩: "حيث كان الفلاح قرارياً مرتبطاً بأرض سيده الإقطاعي، ولا يسمح له بمغادرتها إلا ما ندر، وكان كالعبد يخضع لقانون البيع والشراء بنظر البعض. وهروب الفلاح من أرضه جريمة كبرى حسب قانون "المحكمة" في القدس".

يعرف مدى استجابة صلاح الدين لمثل هذا الطلب لوفاء أندرو هذا قبل إتمام الفتح^(١)، أو ربما تدهورت العلاقة بين صلاح الدين والإمبراطورية البيزنطية بعد سيطرة الجنويين على المنبر الذي أرسله صلاح الدين لمسجد القسطنطينية^(٢)، ومما لا شك فيه أن نظام المناصفة كان به حلول لكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الطارئة على أرض الشام^(٣)، وحدث تقارب وانسجام عند صليبي الشرق نتيجة عوامل عدة منها هذا الاستقرار وامتلاكهم بيوتاً وقصوراً لم تكن لهم في أوطانهم فعاشوا حياة رغد، وعوامل نفسية تبلورت في قلة عزيمتهم القومية وضعف انتمائهم، وربما ماتت عزتهم الوطنية القادمين من أجلها بتغير حكاهم، فأصبح هدفهم الاستقرار الأمني ورغد العيش، فغيرت البيئة الشامية من أخلاقهم فأحبوا جيرانهم الجدد وأخذوا بعاداتهم^(٤).

وكان هناك تفاهم والتقاء مصالح بين الطرفين، وحقق بعض أهل الشام بعض العدالة لسلوك عدوهم المتولي أمرهم. عدالة ربما لم يحققها آخرون عند أبناء دينهم وجلدتهم، وهذا ربما لتقدير هذا الطرف أو ذاك من رجال الإقطاع الإفرنج لأهمية العمل الذي يقوم به هذا الفلاح، حيث كانت الزراعة الرافد الثاني بعد التجارة، لنفقات

١- انظر: Brand (C.M). The Byzantines and Saladin, Speculum Vol. ٣٧, America ١٩٦٢, p. ١١٨.

الحافظ.. عادل حمزة. العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي ١١٢٥-١٢٥٠ م / ٥٤٧-٦٤٨ هـ. مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٨٩ م)، ص ١٥٢.

٢- الجنويون هم أصحاب المراكب التجارية المشاركة في الحملات الصليبية Brand. P. ١٧٠، وقارن ذلك في عزب، خالد محمد، العلاقات الاقتصادية بين العالم الإسلامي والغرب، رواية تاريخية. مجلة الاجتهاد، ع ٣٢، س ٨، بيروت (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م) ص ٧٩.

٣- عزب. العلاقات الاقتصادية. ص ٧٥.

٤- الشامى. تاريخ العلاقات. ص ٢٠٥.

المستعمرات الصليبية، فأستمر الفلاح في ممارسة مهنته ، في وقت هجر الناس أرضهم
وقل عددهم في مناطق أخرى.^(١)

فعاشت مناطق المناصقات ازدهاراً نسبياً بعكس مناطق الصراع الأخرى^(٢) ولا
سيما إذا كانت هذه المنطقة تشتهر بصناعة أو زراعة يطلبها الغير، فيذكر أن طبرية
كانت تشتهر منذ القدم بالحصير، ونظام المناصفة بها أدى إلى استمرار هذه الصناعة،
وهكذا الحاجات الأخرى، كالحلي وغيره من السلع الشرقية المشهورة التي لا غنى
للغربيين عنها حيث صنعت خصيصاً لأذواقهم وتلبية رغباتهم^(٣).

* * *

-
- ١- بهيني، أوضاع المسلمين، مجلة التاريخ العربي، ع ١١، ص ١٨٠-١٩٠ ، حاتم الطحاوي، الصليبيون، مجلة
الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت ع ١٩٩٦، ٢٢م، ص ١١٩.
 - ٢- قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص ٢٠٧.
 - ٣- علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٨ د وما بعدها.

٤/ أهم المناطق التي شملها نظام المناصفة:

المناطق التي شملتها المناصفات هي مناطق حدودية مشتركة بين المتعاهدين المسلمين والفرنح، وما هي حدود مشتركة اليوم قد تكون في قلب مملكة ما غدا، لذا جاء تحديد مدة المناصفات من خلال معاهدات الطرفين وتوثيقها، وذكر مساحتها ورسم حدودها مع المناطق المحيطة^(١) تحديدا دقيقا بمدنها وقرائها ومزارعها وأنصاف مدنها وتاريخها هجريًا وميلاديا بدءًا ونهاية ليلا ونهارا، "وجميع ذلك ما عين وما لم يعين" ، ثم تحديد القاطنين والقادمين وأصحاب المراكب التجارية، بهدف عدم حصول مشاكل بين الطرفين^(٢)، وأهم هذه المناطق المناصفة - كما ذكر - مع مطلع حكم الصليبيين في بلاد الشام بعض أعمال طرابلس في عهد فخر الملك ابن عمار^(٣) وفي أرض السواد وجبل عوف والبقاع في عهد ظهير الدين طغتكين أتاك دمشق^(٤) ثم

١- ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص ١٠٦-١٠٧، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٢، الحباري، مصطفى، صلاح الدين القائد وعصره، دار الغرب الإسلامي، ط ١ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م) ص ٤٥٩.

٢- انظر: ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص ١٠٦-١٠٧، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٩٨٥-٩٩٧.

٣- طرابلس من ممالك الشام مجاورة للبحر حولها جبال شاهقة، حكمها ملوك بني عمار "للمزيد انظر: ابن القلانسي، الذيل، ص ١٤٧، ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار "دولة المماليك الأولى" دراسة وتحقيق دوتيا كرافولكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ط ١ (١٩٨٦م)، ج ٣، ص ٣٢٧.

٤- "السواد وجبل عوف من أعمال عجلون في شمال الأردن، حيث كان بنو عوف يسكنون ريفها ويمتنعون بها حتى قبض عليهم عز الدين أسامة وحبسهم في عهد الملك العادل" والبقاع من أعمال دمشق في الساحل الجبلي الشمالي وتنقسم إلى البقاع العزيزية والبقاع البعلبكية، وتقع بين بعلبك وحمص ودمشق، وفيها قرى كثيرة ومياه وفيرة" انظر: ابن القلانسي، الذيل، ص ١٧١، ٢٦٤، العمري، مسالك، ج ٣، ص ٣٢١، البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٤١م)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه - ط ١ (١٩٥٤م)، ج ١، ص ٢١١، رنسيما، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٥٧.

المناصفة في الجولان في عهد حكام دمشق البوريين من آل طغتكين^(١) وتمت المناصفة على حصن الأثارب،^(٢) وفي بعض أعمال أنطاكيا في عهد الأمير ايلغازي بن أرتق،^(٣) ومناصفة في حارم في سلطنة عماد الدين وولده نور الدين زنكي،^(٤) ثم ناصف نور الدين في طبرية وبانياس.^(٥)

وتمت مناصفة عامة في صيدا في عهد صلاح الدين الأيوبي^(٦) ثم ناصف في اللد والرملة،^(٧) ودخلت بعيرين بالمقاسمة في عهد الملك المظفر صاحب حماة سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٢٣م^(٨) وهكذا شيزر في عهد الملك العزيز بن الظاهر^(٩)، وتمت مناصفة مرقية

١- "الجولان هضبة من نواحي دمشق من عمل حوران" انظر: البغدادي، مراصد، ص ٢٦٠، يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة وتقديم وتعقيب قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، دار المعارف، القاهرة، ط١ (١٩٨١م) ص ٦٥.

٢- الأثارب قلعة معروفة بينها وبين حلب ثلاثة فراسخ" انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٦٢، أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ٢٠-٢١، البغدادي، مراصد، ج ١، ص ٢٤.

٣- ابن القلانسي، الذيل، ص ٣٠٥.

٤- "حارم حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكيا من أعمال حلب" انظر: البغدادي، مراصد، ج ١، ص ٣٧١، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ١٥٨، محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ٤٨٩-١٠٦٦هـ- ١٠٩٦-١٤٠٤م، دراسة نصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ١١١.

٥- "طبرية تم التعريف بها مسبقا، وبانياس من أنهار دمشق، وهي اسم لقرية من أعمال دمشق ويذكر البعض أنها مدينة الجولان وبها قلعة الصبية"، انظر: ابن القلانسي، الذيل، ص ٣٢٧، ابن قاضي شهبه.

٦- "صيدا من أعمال الشام كورتها كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار وهي ولاية جليلة واسعة العمل عديدة القرى" انظر: الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٨٤٤، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) .. الكامل في التاريخ، ج ١٢، تحقيق أبي الفداء عبد الرحمن القاشي، بيروت، دار الكتب العلمية (١٩٨٧م) . ج ١٢، ص ٨٦، العمري، مسالك، ج ٣، ص ٣٢١.

٧- أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٢٠٣.

٨- "بعيرين بلد بين حمص والساحل والأصح في لفظها بارين ويعرين لفظ العامة لها" ياقوت الحموي . معجم البلدان، ج ١، ص ٤٥٢، ابن النظيف الحموي أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي (ت منتصف القرن ١٣/٥هـ) . التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، عني بنشره وتحقيقه د. أبو العبد دودو مراجعة د. عدنان درويش، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة الحجاز، دمشق (١٩٨١/٥١٤٠) ص ٢٥٢.

٩- نفسه، ص ٢٦١.

وبلاد اللكمة^(١) والمرقب وبلادها من موائ ومراسي في عهد الملك الظاهر بيبرس واستمرت مناصفة في عهد الملك المنصور قلاوون^(٢)، وتمت مناصفة في عكا في عهد الملك الظاهر بيبرس وولده^(٣) وبعض أعمال حيفا كذلك، ونوصف في بعض مناطق الأسكندرونة^(٤).

وشملت المناصفات طواحين ومصايد أسماك في البحار المحيطة، وهكذا الجسارات-المراعي- وغيرها من المتاجر والمزارع وكل ما يخص حياة جماعات من المجتمع الشامي^(٥) إذ بعد تحديد أماكن المناصفة بحدودها وتفصيلها وقانونها وشروطها يتم توثيقها بالتواقيع وحلف أصحاب الشأن^(٦) وهذه أمثلة على الشؤون التي شملها نظام المناصفة، ومما لا شك فيه أن مناطق أخرى ومصالح متنوعة ومنها الأملاك العامة كانت مناصفة، وأخرى استغلالات وملكا خاصا كانت مثالثة، اتفق الطرفان على التشارك فيها وإدارتها وقسمتها واردها من خلال الإحساس بالواقع المعاش والحوار البناء المستمر بين الممالك المتنازعة^(٧).

-
- ١- "مرقية قلعة حصينة في سواحل حمص رتب لها الجنود منذ صدر الإسلام واللكمة حصن بالساحل قرب عرقه انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٦٥-ج ٥، ص ١٠٩.
 - ٢- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٩، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٩١، النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٧٥.
 - ٣- "عكا موضع بساحل الشام وهي من ثغور الشام الواسعة، وكانت قاعدة مدن الفرنجة بالشام، وهي ملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الأفاق" انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٩، الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط ٢ (١٩٨٤م) ص ٤١٠-٤١١.
 - ٤- "أسكندرونة مدينة شرقي أنطاكية على ساحل بحر الشام بينها وبين أنطاكية ثمانية فراسخ"، انظر: البغدادي، مرصد، ج ١، ص ٧٧، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٦٠.
 - ٥- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٣٣٢.
 - ٦- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٦٠، ٣٧، ٤٧، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٩٨٨-٨٩٨.
 - ٧- القلقشندي، ج ١٤، ص ٤٦، المقريزي، ج ١، ق ٣، ص ١٧٥.

د/ نشوء العلاقات الودية بين المتناصفين وتطورها :

يبدو كما ذكرنا سابقا، وإن كانت الحروب حتمية بين الطرفين وجهاً لوجه، إلا أن بعض الممالك والمناطق الحدودية قد حافظت على صفاء في العلاقة بين المعسكرين، هذه العلاقة دونتها لنا معاهدات تعتبر سجلاً موثقاً لا غنى للباحث من سبر أغوارها ومعرفة دلالاتها في اللفظ والمعنى معاً، وخاصة أنها تقررت من ملوك الطرفين معاً^(١) إذ كان الصليبيون يحسنون معاملة الموظفين المسلمين في أماكن سيطرتهم، وأقاموا حكماً ذاتياً للمسلمين في بعض المقاطعات الريفية، فأصبح شيخ القرية مسلماً، ونعم المسلمون بحسن المعاملة مثلاً عامل الحكام المسلمون الفرنج في بلادهم بالرفق والتسامح والاحترام، وإن كان المسلمون يدفعون لحكام الفرنج ضريبة "الفرضة" ونصف إنتاج المحصول وضرائب أخرى على أشجار الفاكهة، بينما أعفى المسيحيون من ضريبة الفرضة ودفعوا مقابلها ضريبة العشور لرجال الدين المسيحي^(٢)، وكان الفرنج يتركون للسكان المحليين كثيراً من الأموال لإدارة شؤونهم المحلية^(٣)، فیری ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٨م أن المسلمين في تبين كانوا مع الفرنج بحالة ترفيه، يؤدون ما عليهم ولا أحد يتعرض لهم في أمورهم اليومية^(٤)، دونما أي اعتبار للعوامل الدينية المتباينة^(٥) وعلى حد قول ابن جبير أن النصاری من أهل البلاد في جبل لبنان إذا ما صادفوا

١- الحايك، العلاقات الدولية، ج.١، ص ٤٠

٢- انظر: ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧٤-٢٧٥، قلعجي، قدری، صلاح الدين، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت (١٩٩٢م) ص ٦١٤، جون هامرتن، تاريخ العالم، نشر بإشراف هامرتن، الترجمة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت) م ٥، ص ١٨٦-١٨٧.

٣- سفيلى، ر. سي، الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١ (١٩٨٢م)، ص ١٠٥-١٠٧.

٤- الرحلة، ص ٢٧٥، على السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٥٦

٥- عزب، العلاقات الاقتصادية، مجلة الاجتهاد، ع ٣٢، ص ٧٦

مسلماً بعيداً عن أهله جلبوا له القوات وأحسنوا إليه^(١) ففي سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م أعفى الملك بلدوين الثاني (Balduin II) المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس من الضريبة المفروضة على مزروعاتهم وترك لهم حرية التجارة والبيع والشراء، ويبدو أن هدفه كان تنشيط التجارة مع العرب المحيطون بمملكة بيت المقدس^(٢).

وترد إشارات كثيرة أن الضيافة وتبادل السفراء قد ألفها الناس خلال الحملات الصليبية بصفة شخصية من جهة وبصفة رسمية من جهة أخرى، فيذكر أن مسؤولاً فرنجياً لقرية صغيرة من قرى عكا قد استضاف قافلة إسلامية دون معارضة من السلطة الرسمية والإدارة العليا، وقام بالضيافة على أكمل وجه^(٣) وطالما لقي التجار المسلمون القادمون إلى مملكة الفرنج كل رفق وإحسان في المعاملة، والتقى التجار من كلا الطرفين في موانئ عكا وغيرها، وكان لهم خانات يقيمون فيها ومسجد يؤدون فيه صلاتهم^(٤)، ويبرر البعض لاستمرار الحركة التجارية على هذا النحو في ظل ظروف التوتر والحرب بين الطرفين لرفد الخزائن بالأموال اللازمة لدعم المجهود الحربي وغيره^(٥)، ووصل الحد إلى إقراض التجار من كلا الطرفين لبعضهم البعض في مختلف الأسواق لتحقيق الاستمرارية في هذه العمليات التجارية^(٦)، ثم يعود بعض هؤلاء الباحثين للقول

١- الخادم، سمير علي . الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، نشر مؤسسة الريحاني، بيروت (١٩٨٩م)، ص ١٢.

٢- فوشيه الشارترى Foucher de Charters . الوجود الصليبي في الشرق العربي، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم (١١٢٧ - ١٠٩٥) ذات السلاسل، الكويت (١٩٩٣م) ص ٢٧٦ .

٣- الحايك . العلاقات الدولية، ج ١ ص ٨٤.

٤- ابن جبير . الرحلة، ص ٢٧٦.

٥- قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص ٢١٨.

٦- الدمشقي، جعفر بن علي (ت نهاية ق ٥٦ / ١٢م) . الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشري الشوريجي، الإسكندرية، (١٩٧٧م)، ص ٧٣.

بأن وضع المسلمين في المدن التي تخضع للحكم الفرنسي كان لا يحسدون عليه وأوضاعهم متردية، حتى ساد نوع من العلاقة والاحترام بين البارونات والحكام المسلمين الذين كانوا يزورون مدينة القدس،^(١) وهذا ربما ما دعا المؤرخ قاسم عبده إلى الاستنتاج بأن الدراسات - التي استقت مادتها من ابن جبير عن حسن معاملة الصليبيين للفلاحين المسلمين في بعض المناطق كتبتين - من أن حسن المعاملة هذا قد ارتبط بتبئين تخصيصاً؛ لأن كل سكانها من المسلمين، وكان الصليبيون حريصين على استمرار وجودهم وأداء عملهم على أحسن صورة، ودليل ذلك في رأيه سوء الأحوال عند الفلاحين المسلمين في المناطق الصليبية الأخرى، وإن كانوا ليسوا أحسن حالاً في المناطق الخاضعة للسلطة الإسلامية.^(٢)

وللارتباط الوثيق بين السلطة الدينية والوجود الصليبي في المنطقة وضعت البابوية استثناءات لتحريم التجارة مع المسلمين، وبقيت هذه التجارة مستمرة دون عوائق تذكر بين الشرق والغرب، رغم استمرارية الحروب وأوضاعها في أحيان أخرى،^(٣) وإن اعتقد البعض الآخر بأن البابوية قد قامت بخلاف ذلك، ودعت إلى تحريم التجارة مع المسلمين وهددت بتوقيع قرار الحرمان لكل من يخالف أوامرها وعمدت إلى تنفيذ سياستها بقوة السلاح،^(٤) فحظر أنوسنت الرابع (Innocent IV) التعامل مع البيزانت المقلد للعملة الإسلامية باحتوائه على عبارات إسلامية^(٥) وحظر مجمع لاتيران

١- "البارون Baron لقب لفئة من نبلاء المجتمع الفرنسي الأوروبي الإقطاعي في ظل نظام الحكم الملكي السائد وتعني المحارب ويلي الفيكونت في رتبته" الطحاوي. الاقتصاد الصليبي، ص ١٢١، براور. عالم الصليبيين، ص ١٠٠.

٢- "تبئين بلدة في جبال بني عامر مطلة على بانياس تقع بين دمشق وصور" ياقوت. معجم البلدان ج ٢، ص ١٤، قاسم عبده. ماهية الحروب الصليبية، ص ٢١٣.

٣- الحايك. العلاقات الدولية، ج ١، ص ٨٨.

٤- عزب. العلاقات الدولية، ص ٧٨.

٥- الطحاوي. الاقتصاد الصليبي، ص ١١٩.

الثالث (latirin) سنة ٧٥٥ هـ / ١١٧٩م هذه التجارة، وهدد من يخالف بالحرمان الكنسي،^(١) وحاول البابا جريجوري الثامن (Piv Gregory VIII ١١٦٩، وقف هذه التجارة وهدد المدن الإيطالية بالحرمان، رغم تصميم المدن الإيطالية على اعتبار نفسها تجارية أولاً ومسيحية ثانياً، فلم تلتزم بالتهديد البابوي^(٢)، ويرى سمير الخادم أن هذا قد تم فعلاً ثم تراجع البابا كليمن السادس (Clement VI) عن هذا القرار خوفاً على خراب المدن الإيطالية،^(٣) واستجاب أنوسنت الثالث (Innocent IV) كذلك لرغبة التجار الإيطاليين، مع وضع بعض الاستثناءات لبعض السلع التجارية التي تشكل تهديداً لمصالح الصليبيين مما يدخل في صناعة الأسلحة والسفن الحربية.^(٤)

ولأهمية هذه العلاقة المتبادلة عند الطرفين الإسلامي والفرنجي فاستمرت على هذه الشاكلة لتحقيق أهدافها، فترد إشارات إلى علاقة مسالمة بين نور الدين زنكي والإمبراطورية البيزنطية، حيث تبادلوا السفارات والوفود مع الحذر الشديد لكل منهما تجاه الآخر. وخاصة في استثمار نور الدين زنكي للخلافات الناشئة بين الإمبراطورية البيزنطية والإمارات والقوى المحيطة.^(٥) وترد إشارات كثيرة إلى علاقة السلم بين صلاح الدين وهذه القوى كالعلاقة بينه وبين الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين Manuel Comenenus ١١٨٠-١١٤٣. الذي أخبر صلاح الدين بالمؤامرة التي اشتركت بها صقلية ومملكة بيت المقدس اللاتينية بمشاركة عناصر داخلية ضد صلاح الدين الأيوبي سنة

١- Gilchrist .J. The Church and Economic Activity in the Middle Age, New York, -١

٢- Throop.P.A.Criticism of the Crusade a Study of Public Opinion and Crusade Propaganda, : انظر ،

Philadelphia ١٩٧٥، P٢٤٥

٣- الشرق الإسلامي. ص ١٢

٤- Cave and Coulson . A source Book for Medieval Economic history ,New York ١٩٦٥ p١٠٣

الطحاوي . الاقتصاد الصليبي . ص ١٠١

٥- عوض، محمد مؤنس أحمد. في الصراع الإسلامي الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية ٤١٤-٥

٦٩٦ هـ / ١١٤٦-١١٧٤م . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١ (١٩٩٨م) ص ١٨٥-

٧٠ هـ / ١١٧٤ م، ووقع معه صلاح الدين معاهدة بهذا الهدف بعدم مشاركة أسطوله في أية حرب ضد صلاح الدين، وأطلق مئة وثمانين أسيراً من أسرى المسلمين، وقدم السفراء إلى القاهرة في عهد الكسيوس كومنين الثاني (Alexius Comnenus II) (١١٨٠-١١٨٣ م / ٥٧٦-٥٧٩ هـ)^(١) ولم تنقطع هذه العلاقة مع خليفته أندرونيكوس الأول (Andronicus I) (١١٨٣-١١٨٥ م / ٥٧٩-٥٨١ هـ)^(٢)، ثم علاقة الصداقة بين صلاح الدين والإمبراطور الألماني فريدريك الثاني (Friedrick)، وهذا ما يظهر من خلال رسالة فريدريك الثاني إلى صلاح الدين مع مبعوثه هنري دي سيتز (Henrich de Ziets) والتي تزيد على عشرين سطراً^(٣)، وترد إشارات عدة إلى سفارات واتصالات وعلاقات صداقة بين صلاح الدين والإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجليوس (Isaac II Angelus) (١١٨٥-١١٩٥ م / ٥٨١-٥٩١ هـ) وطلبه من صلاح الدين استرداد المدن الباقية بأيدي الصليبيين، وتمت هذه الاتصالات بوساطة مبعوثين أحدهما يدعى ميليكيتس (Melkites) والآخر يدعى باتيت (Joseph Batit)، ورافق هذه السفارات كثير من الهدايا وإطلاق سراح الأسرى ومنهم أخو الإمبراطور إسحق^(٤)، حيث كانت هناك لقاءات ومراسلات، فهذا هو كتاب موثق بقلم القاضي الفاضل من صلاح الدين إلى برديول (Baudouin IV) معزياً له بأبيه ومهنتاً

١- انظر: عبد الحافظ.. العلاقات السياسية ص ١٥١، عاشور، سعيد عبد الفتاح. الحركة الصليبية. ج ٢. القاهرة (١٩٧٥م). ج ٢. ص ٧٤٠.

٢- انظر: Speulium (١١٩٩-١٢٤١) Joselyn III and the fall of the Crusader State (I.R) . Nicholson - Volume ٣ Leiden, ١٩٧٣, P. ١٥٢

٣- انظر: عبد الحافظ. العلاقات السياسية. ص ١٢٦

- C F. Conder (C. R) , The Latin Kingdom of Jerusalem (١٢٩١-١٠٩٩), London , ١٨٩٧, P.P ٢٥ -

→

Vinsofofs (G), Itinerary of Richard I and others to the Holyland, London, ١٨٤٨, New York ١٩٦٩,

٤- عبد الحافظ. العلاقات السياسية. ص ١٥٢-١٥٣

له بالملك من بعده يقف شاهداً على ذلك : " أما بعد خص الله الملك العظيم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد، والسعد الساعد، والحظ الزائد، والتوفيق الوارد، وهنأه من ملك قومه ووارثه، وأحسن من هداه فيما أتى به الدهر وأحدثه، فإن كتابنا صادر إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوب الأصدقاء، والنعي الذي وددنا أن قائله غير صادق بالملك العادل الأعز الذي لقاه الله خير ما لقى مثله. وبلغ الأرض سعادته كما بلغه محله معز بما يجب فيه العزاء، ومتأسف لفقده الذي عظمت به الأرزاء، إلا أن الله قد هدى الحادث بأن جعل ولده الوارث، وأنس المصاب بأن حفظ به النصاب ورسولنا الرئيس العميد مختار الدين أدام الله سلامته. قائم عنا بالعزاء من لسانه، ووصف ما نالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق وخلو مكانه، وكيف لا يستوحش رب الدار لفرقة جيرانه"^(١)، إلى جانب كثير من العبارات التي توحى بالآثر البالغ على المجتمع الإسلامي وعليه هو تحديداً، وإن كنت لأشك في هذه المعاني التي تضمنها هذا الكتاب بهذه الدرجة وخاصة عند شخصية قيادية محررة رهنت نفسها وكل إحساسها لتحرير المدينة المقدسة، ولا استبعد مفاوضات قام بها الجانب الأيوبي في هذه الفترة مثل فكرة الزواج بين الملك العادل - أخو صلاح الدين - وأخت ريتشارد قلب الأسد وإن تعثر مشروع المصاهرة هذا^(٢) ويذكر ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م أنه في عام ٥٨٨ هـ / ١١٩٢م تقرر الصلح بين الفرنج وصلاح الدين، فأذن صلاح الدين للفرنج بزيارة بيت المقدس فزاروها وتفرقوا، وأقام بالساحل الشامي ملكاً على الفرنج والبلاد التي بأيديهم شخص يدعى الكونت هنري (le Conte Honry) " كان خير الطبع قليل الشر رفيقاً بالمسلمين"^(٣)، ويذكر المقرئ في أحداث سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٥م أن الصلح تقرر بين الملك العزيز والفرنج وسمح للمسلمين كذلك بإقامة

١- للمزيد انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١١٠-١١٦.

٢- الحباري، مصطفى، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، نشر مكتبة عمان (١٩٩٤م)، ص ١٧٧-١٧٨ نقلاً عن كتاب الاعتبار لابن منقذ ص ١٧٩.

٣- الكامل ج ١٢، ص ٨٦

مسجد في القسطنطينية لإقامة الصلاة، إلى جانب الإحسان للنصارى في كل بلاد المسلمين وكذلك البطارقة: "وأن يتمكنوا من إخراج موتاهم بالشمع الموقد وإظهار شعائهم في كنائسهم"^(١) ويذكر ابن جبير أنه في رحلة الملك العادل سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م إلى الشام والجزيرة والرها، فرتب أحوالها، ثم عاد إلى دمشق وبرفقته وضيافته وكليام الفرن (Wikliam) ومن هنا يبدو لنا أن هناك زيارات إقامة لبعض رجال الإدارة الفرنجية في ممالك بلاد الشام الأيوبية^(٢).

وهكذا سار المماليك على سياسة الود والمصالحة والإلتقاء هذه مع الممالك الصليبية في الشرق، وذلك من خلال تجديد المعاهدات وعقد معاهدات جديدة بين الفينة والأخرى.^(٣) وكانت هناك ثقافة متبادلة بين الطرفين، فيذكر في عهد الملك الكامل بن العادل أن الإمبراطور فريدريك الثاني (Friedrich) قد ناقش الأمير فخر الدين يوسف بن حمويه حول الفرق بين الخليفة والبابا، وناقشه في الحساب والمنطق والطب والمسائل العلمية، حيث يقول فريدريك في الخليفة عند المسلمين "ما أحسن هذا لكن هؤلاء القليلي العقول - يعنى الفرنج - يأخذون رجلاً من القمامة ليس بينه وبين المسيح نسب ولا سبب جاهلاً مذمماً يجعلونه خليفة عليهم"^(٤)، ويبدو أن الصليبيين قد اختلطوا بالشرقيين وأخذوا بطباعهم وعاداتهم، وكتب النصارى بالعربية وتكلموا بها في دواوينهم^(٥) وتزوجوا بشترقيات وأنجبوا أولاداً، فيرد عند ابن منقذ المتوفى سنة

١- المقريزي، السلوك، ج١، ص ١٥٨

٢- ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧٥

٣- الطحاوي، الاقتصاد الصليبي، ص ٢٠٢-٢٠٣

٤- انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص ٢٥١

عبد القادر، عبد الشافي غنيم، حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية في العصر النورماني (١٨٤-٦٦٧ هـ / ١٠٩١-١٢٦٨ م) رسالة دكتوراه، آداب، جامعة القاهرة (د، ت) ص ١٩٤

- C F . Kantorowicz (E) . Fredrick The Second (١١٩٤-١٢٥٠) translated by Lorimer (E-O) London , (١٩٣٠ , P. ٩٢

- Slaughter (G) . The Amazing Fredrick , London ١٩٣٧ P.١٢٢

٥- ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧٥

٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م بقول المؤرخ فوشيه (Foucher): "نحن كنا غربيين وأصبحنا الآن شرقيين بمعنى الكلمة"^(١)، حتى أطلق الغرب على الفرنج القدامى المولدين كلمة بولان Poulain أي إفرنجي مهجن، ويطلق هذا على الطفل المولود من أب صليبي وأم شرقية أو العكس، ويستعان بهؤلاء أحياناً في بعض المهن كنقل البضائع إلى الأرصفة في مراكز الموانئ الإسلامية^(٢) وتمتع المسلمون بمثل تلك الحقوق عند الطرف الآخر فيذكر أنه من حق المسلمين والمقيمين بالممالك الفرنجية - ويبدو أنهم تجار على الأغلب - توظيف أموالهم لاطلاق سراح الأسرى المسلمين وخاصة الغرباء منهم، ولا سيما إذا ما غفل أحد سلاطين المسلمين عن فك هؤلاء الأسرى، وإن حرصوا على فك أسرهم تفضيلاً على غيرهم^(٣)، وكان هؤلاء التجار المسلمون والصليبيون يسكنون جنباً إلى جنب، وإن اختلفوا في أماكن اجتماعهم، فيجتمع المسلمون في الشارع المؤدي إلى كنيسة القيامة في القدس، بينما يجتمع الصليبيون في الشارع المسقوف، وربما هذا للحفاظ على أسرار تجارتهم من رأس مال وأرباح خاصة بهم^(٤).

واستمرت علاقات المسالمة والسلم بين فينة وأخرى بين المعسكرين الصليبي والإسلامي بحكم المصالح التجارية المشتركة، ولأسباب أمنية أخرى طيلة فترات الغزو الصليبي على بعض الممالك الشامية وبعده، وحتى اكتشاف رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨ م، وسيطرة الغرب على طرق التجارة الدولية وبداية النهاية للدولة المملوكية على أرض بلاد الشام خاصة^(٥).

١- انظر: ابن منقذ، أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م). كتاب الاعتبار، نشر فيليب حتى، جامعة برنستون (١٩٣٠م)، ص ٩٩، نسيم، جوزيف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، الإسكندرية (١٩٦٧م) ص ٨٣.

٢- انظر: براور، عالم الصليبيين، ص ٢٢٠، حيث يرى أن البولان هم أولاد الصليبيين نتيجة زواجهم بأرمنيات وبيزنطيات ومسيحيات شرقيات في بلاد الشام، جوزيف نسيم، العرب والروم، ص ٨٥.

٣- ابن جبير، الرحلة ص ٢٨٠.

٤- الطحاوي، الصليبيون، ص ١١٥.

٥- عزب، العلاقات الاقتصادية، ص ٨١.

٦/ صور قوانين المناصفت وشروطها :

تعددت المعاهدات التي عقدت بين المسلمين والفرنج خلال مرحلة الحروب الصليبية في بلاد الشام وما حولها، وقد وجدنا في هذه المعاهدات إشارات عابرة إلى نظام الإدارة المشتركة في المناصفة، ويزودنا القلقشندي بعدد من تلك المعاهدات والهدن، ولا سيما ما أبرم منها في العصر المملوكي، وما احتوته هذه المعاهدات من شروط وبنود تحدد أسس التعامل بين الطرفين المتعاقدين^(١)، ففي هدنة الظاهر بيبرس وبيت الاسبتار في حصن الأكراد والمرقب سنة ٦٦٥هـ / ١٢٢٦م^(٢)، حددت بعشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، وتذكر المعاهدة الأطراف المشاركة وتحدد أماكن نفوذهم والتعريف بهم، ويتعهد الملك الظاهر في هذه المعاهدة بحماية بلاد المناصفت من عسكره ومن هم في ذمة إدارته من ولاته ورجاله، وفرض هذا على الطرف الآخر واشترط بعدم منع أحد فلاحى بلاد المناصفت من الرجوع إلى بلادهم، ويلتزم بهذا بيت الاسبتار (Hospitallers)^(٣)، ويسمح للعربان والتركمان والمسالمة الدخول إلى بلاد المناصفت وحرية الرعي في مناطق المناصفة، ولا يوجد على هذه المراعى المخصصة لرعى الخيول وغيرها "الجشارات" رسوم من الجهتين، وتكون كذلك مصايد السمك مناصفة، وفي القش يخصص للملك الظاهر دون غيره، ويأخذ الاسبتار مقابلته خمسين ديناراً صوريا سنوياً، وهكذا الطاحون والبستان مناصفة^(٤) وقد

١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٢٢ وما بعدها.

٢- حصن الأكراد من الحصون المنيعه على جبال الجليل المقابلة لمدينة حمص من الغرب بينها وبين حمص مسافة يوم وتؤدي في طريقها إلى بعلبك... والمرقب بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل

بحر الشام قرب بلنياس "ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٤، ج ٥، ص ١٠٨

٣- "الإسبتارية منظمة دينية عسكرية أنشئت في بيت المقدس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي" للمزيد انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٢٤-٢٧، المطوي، الحروب الصليبية، ص ٩٥-٩٦.

٤- البقلي، التعريف، ص ٨.

يتعهد الملك بعدم الترخيص لعموم التركمان والعرب هؤلاء بالدخول إلى بلاد المناصفت أو الخروج منها، ويخصص لهم مهمة حمل الغلة فقط، وعند زيارتهم بلاد المناصفة عليهم مراجعة نواب الاسبتارية وأخذ الأذن منهم، والاتفاق معهم، وعلى أن ألا يدخل أحد من القاطنين في بلاد المناصفت من الفلاحين والعرب والتركمان وغيرهم إلى بلاد الإفرنج والنصارى كافة لإغارة ولا أذية بعلم الملك الظاهر وبلاد معاهديه، ولا يدخل أحد بلاد المسلمين لإغارة أو أذية بعلم الاسبتارية ولا رضاهم ولا إذنهم، ويتقرر كذلك أمن وسلامة فلاحي بيت الاسبتار في بيعهم وشرائهم، وهكذا بخصوص غيرهم من الفئات الأخرى، إن حصل اعتداء من إحدى الطرفين يعطى مهلة خمسة عشر يوماً حتى تُرد الشكوى، وعلى المتهم الحلف أو رد الأذية، وتقرر في هذه المعاهدة حماية الصعاليك من أذى المسلمين والفرنج على حد سواء، وإن كانت هذه الحماية مرهونة بعدم إقامة تحصينات خاصة بهم، وتقرر عدم الاعتداء من كلا الطرفين على بلاد الآخر، وعلى نائب الإدارة في كلا الطرفين ضمان حق الطرف الآخر في الرسوم المفروضة على الهاربين إلى منطقتهم من خلال رهان أو متابعة قضائية تضمن لهم هذا الحق مع ضمان سلامة التجار والمترددين من

كلا الجهتين^(١)، وهكذا بالنسبة لمكافحة أعمال القرصنة لدى الجهتين "وأنهم لا يمكنون لصوص البحر من الزوادة عندهم، وإن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيمسكهم كفيل المملكة بعكا والمقدمون حتى يظهر صاحب هذه البضاعة وتسلم إليه"^(٢)، وضمن سلامة المراكب البحرية كان هدفاً لهذه المعاهدات^(٣) وكذلك التعهد برد الحق

١- انظر: المقرئزي، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٩٩١، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٢٧-٤٢، بيبرس الدوادر، بيبرس بن عبدا لله المنصوري الناصري الدوادر الخطائي (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م). زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك تحقيق د. زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، (٢٠٠١م) ج ٩، ص ٢٢٤.

٢- ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور، ص ٢١١.

٣- القلقشندي، ج ١٤، ص ٥٩، علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٦٥.

إلى نصابه من خلال الحلف والأيمان عند كلا الطرفين، وإلا ضمن الطرف الأول العوض للطرف الآخر، وهكذا في القتل " الفارس بالفارس والراجل بالراجل والبركيل ببركيل^(١) والتاجر بتاجر والفلاح بفلاح " وإن هرب أحد بمال أعيد المال للطرف الآخر، وخير في المقام أو العودة إلى بلده، وإن هرب عبد على دينه أعيد، وإن اعتنق ديناً آخر أعيد ثمنه، وتكون هذه الهدنة ثابتة لا تنقض بموت أحد الطرفين المتعاهدين سواء كان ملكاً أم مقدماً أو نائباً إلى آخر مدتها.^(٢)

ويزودنا القلقشندي كذلك بنص هدنة موقعة بين الملك الظاهر بيبرس وصاحبة بيروت الإفرنجية إيزابيل (Isabelle) سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٢٨ م^(٣) على هذا النسق، حيث تقرر بما نصت عليه مثل هذه الهدنة في مطلع العصر الأيوبي، وتذكر المعاهدات حدود المناصقات ومضافاتها من قلاع وحصون وبلاد ومضافاتها ببرها وبحرها وساكنتها وتجارها، وتحدد السياسة القضائية المراد اتباعها في بلد المناصفة وتاريخ تنفيذ الاتفاق ونهايته هجرياً وميلادياً والأطراف الموقعة بأسمائها، وقد تستثنى بعض القلاع من المناصفة، كقلاع الإسماعيلية^(٤) وبلاد الدعوة التي جعلت للملك الظاهر بأكملها دون الطرف الآخر، واستثناء بعض رجال الاسبتارية وما يحملونه من مؤونة وكسوة من الرسوم^(٥)، وقد تكون المناصقات على العموم في الوقت الذي تستثنى بعض المناطق، فتخضع لأحد الطرفين المتعاهدين، كالصلح الذي عقد بين الظاهر بيبرس وصاحب صور الإفرنجي

١- " البركيل هو مرتاد البحار من التجار والمغامرين والتركبولي مولود من أب تركي وأم يونانية " انظر: القلقشندي، ج ١٤، ص ٤٠-٤٢.

٢- بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٢٢٤، الشامي. العلاقات بين الشرق والغرب ١٩٨.

٣- يذكر أن هذه الملكة قد تزوجت كونراد دي مونفيرا " القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٣-٥٠.

٤- ومن هذه القلاع مصياف وهي حصون للجماعة الاسماعيلية الباطنية " الحشاشون " بالساحل الشامي قرب طرابلس " انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٤.

٥- صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٥-٥٠، بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٢٢١.

”وحصل الاتفاق على أن يكون لهم من صور عشر قرى خاصة لهم. ويكون للسلطان خمس بلاد يختارها خاصاً ببقية البلاد مناصفة” وحلف الطرفان على ذلك.^(١)

ويذكر ابن جبير الرحالة المعاصر لفترة الدراسة فيما يخص المقاسمة في بانياس، أن أعمالها كانت مقاسمة بين الطرفين والغلة مناصفة، ويقول المؤرخ الفرنجي المعاصر وليم الصوري (William) of Tyr “أن عادة اقتسام السلطة بشكل متناصف بين الفرنج والمسلمين قد سادت لسنوات كثيرة، وكانت ما تزال تطبق في ذلك الوقت، كما قسمت الضرائب والجزية بشكل متماثل بينهما أيضاً” وتكون المواشي مختلطة ولا يحق لطرف الاعتداء على طرف آخر، وعليهم حفظ سلامة الطرف الآخر من اللصوص والمجرمين والمفسدين^(٢)، وهذا ما نصت عليه كذلك اتفاقية المنصور قلاوون مع الفرنج في عكا سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، حيث يمهّد الطرفان للتنسيق في الحوار والتعامل فيما بينهما^(٣)، ويبدو أن المعاهدات قد نصت على إقامة خانات خاصة في مناطق المناصفة للمسلمين^(٤)، وفي بلاد المناصفات هذه وفي ظل الحكم المشترك من الطرفين، فقد اتفقوا في الجولان على عدم إقامة حدود فعلية بينهما ونزع السلاح منها وعدم بناء التحصينات، وقسمة العائدات بحيث تأخذ دمشق ثلث العائدات، وللصليبيين الثلث، وثلث آخر من نصيب الفلاحين وامتدت هذه المناطق المناصفة حتى نهر اليرموك جنوباً^(٥)

١- ابن عبد الظاهر. الروض الزاهر، ص ١٨٩، وقارن ذلك في النويري. نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٧٦، كان هذا في المناصفة بين المنصور قلاوون وصاحب طرابلس الإفرنجي سنة ٦٨٠هـ/١٢٩٢م.

٢- الرحلة، ص ٢٧٣-٢٧٤، وليم الصوري. تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٤٥٨، المقرئزي. السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٩٦٤، توفيق. الدبلوماسية الإسلامية، ص ٢١٥

٣- القلقشندي. صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٥-٤٦.

٤- “الخانات أماكن لإقامة الخاصة من الملوك والأمراء وبها أماكن خاصة بالحيوانات المستخدمة في النقل كالجمال” الرحلة، ص ٢٧٧. حيث كثيراً ما يخص المسلمين بحسن الحال في ظل الوضع القائم، البقلي. التعريف، ١١٥.

٥- “نهر اليرموك واد بالشام من ناحية الغور يصب في نهر الأردن وكانت به المعركة الفاصلة بين المسلمين والروم على عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة ١٤هـ ياقوت. معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢٤، براور. عالم الصليبيين، ص ٦٥.

وهكذا كانت البقاع بحكم مشترك ومقاسمة ثلاثية كالجولان^(١)، ويذكر الشامي أن حصة الفلاح كانت تقسم بينه وبين صاحب الأرض^(٢)، وهذا ربما يعيدنا إلى استمرار النظام الإقطاعي في بلاد المناصقات، وربما حدث ما يتجاوز تلك القسمة ويخصص من المناصفة معيشة لبعض الأمراء، وهذا ما قرره صلاح الدين في مناصقات أنطاكية سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م " فكتب لأمر أنطاكية الصليبي بعشرين ألف دينار"^(٣)، وقد نصت المعاهدات على قانون التمكيس - الرسوم الجمركية المضافة على أوامر الشرع - إذ كان حصن تبين بيد أميرة من الفرنج، وقد جارت على الناس الغرباء في الرسوم المدفوعة، ففرض على الشخص من التجار المغاربة دينار صوري وقيراط، ويبدو أن قانون المناصقات قد أعفى أهل المنطقة من هذه الرسوم، وهذا ما دعا ابن جبير - كما أسلفنا - للحكم بأنهم على أحسن حال وقت زيارته لهذه المنطقة^(٤)، وينص قانون المناصفة على حرية انتقال الفلاحين وترحالهم مع التزامهم بالعودة إلى أماكن سكنهم وإقامتهم بأمن وسلامة، وخاصة في إطار الحدود الجغرافية لأقاليم المناصفة^(٥) ويشترط في عقد المناصفة إعادة الأسرى من كلا الطرفين، ويتولى تقرير الهدنة كبار رجال الدولة، ويشترط على هؤلاء الرجال عقد الأيمان بالحلف والتوقيع للتوثيق، فيذكر في الهدنة مع الفرنج وبين الاسبتار سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م بوصول مندوب السلطان المملوكي إلى الروجا إحدى قرى حلب^(٦) وقدم رسل الفرنج وتقررت الهدنة الظاهرية

١- جوني، دمشق والمملكة اللاتينية، ص ١٠٤.

٢- الشامي، تاريخ العلاقات، ص ٢٠٢.

٣- "أنطاكية قصة عواصم الثغور الإسلامية، كثيرة الخيرات ومنها إلى حلب يوم وليلة عامرة فيما بينها وقرائها متصلة" ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٦١٦ - ٦١٨، ياقوت الحموي، ج ١، ص ٢٦٦ وما بعدها.

٤- ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧٧.

٥- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣١ - ٤٠.

٦- "الروجا أو الروج كورة من كور حلب تقع غربها وتتوسط ما بين المعرة وهذه المدينة" ياقوت ج ٢، ص ٧٦.

على مناصفة الریض وبلنیاس^(١)، وحلف السلطان وبعث الأمير فخر الدین إیاز المقری - الأمير الحاجب - لتنفيذ تعليماته وحلف مقدم الاسبتار نيقولا لولورنيه (Frere Nicholas Le Lorgne)^(٢) وإذا ما خالف طرف نصوص الاتفاق، وخاصة في بناء التحصينات من قلاع وبروج وحصون، اعترض الطرف الآخر، ونقض تبريرات الطرف الأول^(٣)، وإذا هرب شخص وتنصر بإرادته يرد ما بحوزته ويبقى "عريانا" ويعطى الأمان، وإذا ما أراد شخص الدخول في الإسلام، يرد ما بحوزته ويبقى "عريانا"، وإذا لم يسلم يرد هو بنفسه إلى حاكمه^(٤)، ولا يفوتنا شرط الأيمان المغلظة بالحلف من كلا الطرفين على هذه الهدنة المعقودة بأطرافها وحدودها ومدتها^(٥) ولا يقرر الملك الجلسة بنفسه، فيسمي أحد الملوك مقررا للجلسة^(٦) ويوقع الاتفاقية عدد من الشهود، وربما يسلم الطرفان رهائن لبعضهما لضمان التزامهم بالشروط المدونة في الاتفاقية^(٧) وتوثق الاتفاقية فيذكر اسم كاتب نص اتفاق المناصفة^(٨).

١- "الریض هو أساس المدينة والبناء أو ما يحيط بهما والریض كورة في سواحل حمص .. وبلنیاس مدينة صغيرة على البحر في سواحل حمص" ياقوت، ج.١، ص.٤٨٩، ج.٢، ص.٢٥.

٢- بيبرس الدوادر، ذبذة الفكرة جزء ٩، ص ١٩٧-١٩٨.

٣- انظر: بيبرس الدوادر، المصدر نفسه، ج.٩، ص.١٩٤-١٩٥، القلقشندي، ج.١٤، ص.٥٦، المقریزی، ج.١، ق.١، ص.٩٦٥، ٩٩٠.

٤- "عريانا دلالة على انتزاع ممتلكاته السابق لاتباعه ديناً جديداً" ابن الفرات، ناصر الدين، محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) تاريخ الدول والملوك "الكامل" حرر نصح ونشره د. حسن محمداً للشماخ، جامعة البصرة، م.٤، ج.١ (١٩٦٧ م)، م.٤، ج.٢ (١٩٦٩ م)، م.٥، ج.٣ (١٢٩٠ هـ - ١٩٨٠ م)، م.٤، ص ١٨٨ وما بعدها، المقریزی، السلوك، ج.١، ق.٣، ص.٩٩٠.

٥- ابن الفرات، تاريخ، ج.٤، ص.١٨٨، ١٩٥، أبو شامة، الروضتين، ج.٢، ص.٢٠٣ حيث يذكر أن الملوك لم يشملهم الحلف، المقریزی، السلوك، ج.١، ق.٣، ص.٩٩٥-٩٩٦.

٦- ابن النظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص.٩٢.

٧- الحايك، العلاقات الدولية، ص.٤٠.

٨- ابن النظيف الحموي، المصدر السابق ص.٢٦١.

ويورد لنا في ابن شدداد نص الإتفاق بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد (Richard the Lionheart) ، حيث حلف الطرفان يوم الأربعاء بعد أن أكل الطرف الفرنجي شيئاً يوم الثلاثاء، وليس من عادتهم الحلف بعد الأكل - ربما لأهمية معنى المشاركة في مائدة واحدة - وكان هذا في الثاني والعشرين من شعبان، وحلف الكونت هنري (Comte Henri) خليفة الملك في الساحل وباليان ديبلان أو بيرزان (Balian II d Ibelin) ابن صاحب طبرية ، ورضي الاسبتار والداوية الهيكليين (Templiers)^(١) ومقدمي الإفرنج بذلك، وأكرمهم السلطان، ثم حضر جماعة السلطان يوم الخميس وعاهدوه على الصلح على القاعدة المتفق عليها وحلف الملك العادل والملك الأفضل والملك الظاهر، وعلي بن المشطوب وبدر الدين دلدرد والملك المنصور وكل مجاور لبلادهم كابن المقدم - صاحب شيزر - وحلف صاحب أنطاكيا وطرابلس، وأمر بالمناداة في الطرفين .. "وعم بين الناس من الطرفين الفرح والسرور، ويبدو أن صلاح الدين لم يكن راضياً عن هذا الصلح ولكنه خاف على البلاد بعد موته من الضياع ورأى الصلح لسامة العسكر وضجرهم من القتال ومظاهرتهم بالمخالفة"^(٢) وربما تنازل أحد الطرفين للطرف الآخر عن حقه وحصته في بلاد المناصبات هذه، وهذا ما ذكر في أحداث سنة ٦١٨هـ / ١٢١٠م ويعتبر هذا التنازل فتحاً على الطرف الآخر^(٣).

وأخذ بالاعتبار الاختلاف العقائدي لكلا الطرفين ، فطبق في بلاد المناصبات القانون حسب ديانة الشخص ومعتقدده ، فطبق الشريعة الإسلامية إن كان الشخص مسلماً ، ويطبق القانون الإفرنجي إن كان الشخص إفرنجياً ، وهذا ما نصت عليه اتفاقية

١- الداوية فرسان الهيكل وهي جمعية عسكرية رهبانية تأسست عام ١١١٨م اشتهر أعضاؤها أيام الحروب الصليبية وحلها الملك فيليب الرابع ملك فرنسا سنة ١٢١٢م . النوادر السلطانية، ص ٢٣٤-٢٣٥.

٢- المصدر نفسه

٣- ابن النظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص ٩٢.

عقدت بين الظاهر بيبرس والاسبترية : " على أن يكون أمر فلاحي ببلاد المناصقات في الحبس والإطلاق والجباية راجعا إلى نائب مولانا السلطان باتفاق من نائب الاسبتار على أن يحكم فيه بشريعة الإسلام إن كان مسلما وإن كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الأكراد"^(١)، وإذا عقد مجلس القضاء يحضر شاهد من الطرف الآخر^(٢) وإذا وقعت دعوى وقف أمرها أربعين يوما وإن لم تظهر يحلف نفر يختارهم صاحب الدعوى، وإن امتنع المدعى عليه من الحلف حلف المدعي^(٣) وإن دخل شخص إلى بلاد المناصقات وعليه رسوم وضرائب وامتنع عن أدائها، فإن نائب بلده يأخذ منه رهناً بمقدار ما عليه، ولا يجوز لنائب من هؤلاء يمثل أحد الطرفين أن يحمي ويتواطأ في حق الطرف الآخر^(٤).

أما المراعي التي يدخل إليها الفلاحون والتركمان والبدو والأكراد، فعليهم الرسوم والضرائب وتقسم هذه مناصفة، عدا خيول السلطان وخيول عساكر الإفرنج فإنها معفاة من الضرائب، وطبق مثل هذا الأمر في بلاد المناصقات وغيرها^(٥) وبالنسبة لفلاحي المناصقات يحظر أخذهم بالسخرة، وإذا هجروا أرضهم في ظروف طارئة جاز لهم العودة إليها^(٦) ولهم حرية التنقل بين بلاد المعسكرين الإسلامي والصليبي لتسويق منتجاتهم وشراء ما يلزمهم من حاجات ضرورية لمعيشتهم^(٧) وضمنت هذه المعاهدات للتاجر أثناء وجوده في بلاد المناصقات التأمين على ماله وممتلكاته، بحيث

١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٢، علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٦، علي الغمراوي، ص ١٧٣.

٢- القلقشندي، ج ١٤، ص ٤٦.

٣- نفسه، ج ١٤، ص ٣٢٧-٣٨.

٤- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٦-٤٥، بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١٩٢-١٩٤.

٥- انظر: القلقشندي، ص ٣٢-٣٣، علي الغمراوي، أضواء جديدة، مجلة الدارة، ع ١، ١٤١٢هـ، ص ١٧٥-١٧٦.

٦- انظر: القلقشندي، ص ٣٣، علي الغمراوي، ص ١٧٧.

٧- القلقشندي، ج ١٤، ص ٣٣.

يتم تسليم تركته إلى كافل مملكته، إذا ما تعرض لحدث ما^(١)، ولضمان استمرار الحركة التجارية في بلاد المناصفاً وتشجيعها أقر قانون المناصفة الإبقاء على الرسوم الجمركية "المكوس" دون زيادة^(٢)، وحرص هذا القانون على حصر المتاجرة في بعض السلع الممنوعة^(٣)، وتدوّن هذه المعاهدة نصوص الاتفاق بين الإفرنج والمسلمين بلغتين العربية أولاً واللاتينية ثانياً، ويوقع كل طرف على النسخة المترجمة بلغته، ويسلمها للطرف الآخر ليودعها في ديوان المراسلات إثباتاً على التزامه والتزام الطرف الآخر^(٤).

ونود الإشارة هنا إلى أن المعاملات التجارية التبادلية، وإن كانت هناك مقايضة على الأغلب^(٥) فقد تم تداول النقد الذي يسهل عملية التبادل، ومنها نقود ذهبية وفضية عالية القيمة، وهناك نقود برونزية ونحاسية ومنها الدراهم الأيوبية^(٦) واستخدم الدينار الناصري - نسبة إلى الناصر صلاح الدين - بعد فتح بيت المقدس سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٧ م^(٧) ومنها الدينار الصوري الذي شاع استعماله في المعاملات التجارية بين الطرفين المسلم والصليبي^(٨) ثم انتشرت في أسواق المناصفاً نقود إيطالية منسوبة إلى مدنها أهمها الدوكات الذهبية والبندقية^(٩)، والبيزانت Byzant الذهبي البيزنطي وغيرها من

١- المقريري، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٩٩٢.

٢- نفسه، ص ٩٩٣.

٣- نفسه، ص ٩٩٠.

٤- الحايك، العلاقات الدولية، ص ٤١-٤٢ حيث وجد في ديوان الرسائل مترجمون للغات عدة، وتم ضبط الترجمة لمنع التلاعب بالفاظها، وذكر اسم المترجم وتاريخ ترجمته وشهد بشاهدين على ذلك.

٥- الطحاوي، الصليبيون، مجلة الاجتهاد، ع ٣٣، ١٩٩٦ م، ص ١١٧.

٦- أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٤٧، الطحاوي، ص ١١٨.

٧- أبو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، بيروت، دار الجيل، ط ٢ (١٩٧٤ م)، ص ١٧٨، سمير شما، النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين، بيروت، دار أطلس (١٩٨٠ م)، ص ٥٧.

٨- الحايك، ص ٨٧، سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان (١٩٧٤ م) ص ٢٢٧.

٩- عزب، العلاقات الاقتصادية، مجلة الاجتهاد، ع ٣٣، ص ٨١.

النقود الإسلامية والصليبية التي قلدت بعضها في بعض مظاهرها^(١). ونود الإشارة هنا إلى قيمة هذه العملات وموازينها، والتي كانت عرضة للاختلاف في هذه القيمة وذلك الوزن تبعاً لنسبة المعدن الرخيص مخلوطاً بالمعدن الثمين، فالدينار مثلاً هو وحدة وزن تساوي مثقالاً واحداً والسبيكة الذهبية منه تساوي ٤,٣٣-٤,٢٥ غم^(٢). ويذكر لنا فتحي النبراوي في دراسته للعملة الإسلامية أن الدينار الناصري هو الدينار الذهبي الوحيد الذي سكه صلاح الدين بعد انتصاره على الصليبيين وتحرير القدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م. حيث قل الذهب في الدولة الأيوبية بعد وراثتها للدولة الفاطمية المثقلة بالأحداث، ويتكون هذا الدينار من ثالث دوائر متوازية مع الصعوبة في تحديد وزنه^(٣). أما الدراهم الأيوبية الفضية الرديئة والتي وصل نسبة النحاس بها إلى النصف، فكانت قيمتها الاسمية تفوق قيمتها المعدنية وتتكون من مربعين متوازيين^(٤).

* * *

-
- ١- الطحاوي. ص ١١٩، سعيد عاشور. الحركة الصليبية، ج ١. ص ٤٩.
 - ٢- فالتر هنتس. المكايل والموازين الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى. ترجمه عن الألمانية كامل العسلي عمان، الأردن. الجامعة الأردنية (٢٠٠١م) ص ٢٩.
 - ٣- النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة (٢٠٠٠م)، ص ٨٦.
 - ٤- المرجع نفسه. ص ٩٦.

٧/ إدارة المناصفت وموظفوها:

وإن غلبت الوراثة في إدارة ممالك بلاد الشام خلال مرحلة الحروب الصليبية في العهدين الزنكي والأيوبي على وجه الخصوص^(١)، فلم تسعفنا المصادر في معرفة من تولى في إدارة المناصفت . وتقل الإشارات التي تفيدنا في رسم صورة متكاملة لمؤسستين إداريتين في أي بلد تقرر في إدارته نظام المناصفة المشتركة بين الطرفين، هذه المناصفة والمقاسمة التي اختلفت كذلك في شكلها وسياساتها الاقتصادية من منطقة لأخرى، حسب ما يقتضيه الحال من جهة والظروف الطارئة على إدارة دويلات بلاد الشام من جهة أخرى. فقد تكون المناصفة على كل شيء في قرية ما، من بساتين ومصايد وملاحات ومحاصيل وطواحين وثروة حيوانية وغيرها، حتى الرحي بناصف عليها، وهذا يحتاج إلى إدارة مالية دقيقة في حساباتها^(٢) وربما شملت المناصفة بعض المدن والموانئ كذلك.^(٣)

وإدارة المناصفة هي إدارة إسلامية إفرنجية مشتركة، يتولى كل منها نائب قد يسميه البعض مقدما،^(٤) يمثل هذا النائب سلطانه في كل صغيرة وكبيرة يقوم بها، ويتفق النائبان على تفاصيل هذه الإدارة المشتركة، ولا ينفرد أحدهما بقرار دون الآخر. وللنائب بالتوافق مهام الحبس والشنق والقطع والإطلاق، والجباية على الأرض والمصايد والطواحين وفق قانون المناصفة الذي يراعي ديانة الشخص المتهم ومعتقدده^(٥)، ومن

١- للباحث دراسات منشورة في هذا السياق. أنظر: خالد سليمان الشريدة، الإدارة الزنكية العامة في بلاد

الشام، مجلة كلية التربية (القسم الأدبي) جامعة عين شمس، القاهرة، ع ١٤، ج ٢، (٢٠٠٨م).

الشريدة، إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، أشير إليه في الهامش سابقا.

٢- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٧-٢٨، علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٤-٤٩.

٣- المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٩٧٦-٩٨٧، القلقشندي، ج ١٤، ص ٤١.

٤- ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٢٠٦.

٥- المقرئزي، ص ٩٨٩، القلقشندي ج ١٤، ص ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢،

المؤكد أن هذا النائب يوكل إلى غلمانه وموظفيه القيام بمثل هذه المهام من عمارة وتنظيم في بلد المناصافات وتعداد القادمين إلى بلده وفرض الرسوم عليهم، ثم إقرار قسمتها مناصفة بكمها وتفصيلها،^(١) ويذكر أن هذا النائب وانطلاقاً من الوظائف الموكلة إليه عند الإفرنج، فقد سمي "أفرير اولدكال أي الأخ (Frere Odokal) أو الأفرير بمعنى الأخ لفرسان الداوية أو الاسبتارية"^(٢) ويبدو أن هذا النائب كما ذكرنا لا يقطع أمراً دون استشارة ملكه وسلطانته^(٣) وسواء كان هذا النائب أو كفيل المملكة مثل السنجال أود "الفيكونت (Viscount)"^(٤) اشترط عليه أن لا يخفي شيئاً من المقاسمات، ولا بد من اطلاع الطرف الآخر على كل تفاصيلها، ويقوم هؤلاء النواب بحماية البلد من المفسدين واللصوص وتوفير الأمن من خلال رجال يرافقون المراكب التجارية القادمة إلى بلد المناصافات^(٥)، ويتبع لكل نائب جهاز إداري متكامل يضم عدداً من الموظفين باختصاصات مختلفة متباينة منعا لانتشار الظلم والفساد على سكان بلاد المناصفة، بعضهم يختص بجمع الرسوم والضرائب، وبعضهم يختص بتنفيذ الأحكام "القضاة"

١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٥، ٤٢.

٢- "تجمع الاسبتارية أخوة مثلما تجمع فرسان الداوية Knighis Templar هذه الأخوة وكلا التنظيمين فكرة رهبانية دينية عسكرية" القلقشندي، ج ١٤، ص ٤٩، البقلي، التعريف، ص ١٨-١٩.

٣- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٢٢.

٤- "الفيكونت Viscount هو الذي يحصل الضرائب ويودعها في الخزينة فهو الوكيل المالي لمملكته ويرأس المحكمة الصليبية وهو نائب اللورد ومنصبه وراثي في بعض الأحيان وقد يكون من صفوف النبلاء ويتم اختياره من الفرسان أو السادة الإقطاعيين التابعين للملك ومن مهامه تحقيق عدالة القانون" انظر: الشامي، تاريخ العلاقات، ص ٢٠١، ١٩٩. البشاوي، سعيد عبد الله جبريل، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١م / ٤٩٢-٥٦٩، تقديم د. محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ص ٩٦.

٥- انظر: ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور، ص ٢٤، المقرئ، السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٩٩٢، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٥٦.

حتى وصل عددهم - برأي البعض - ستة عشر موظفا وهم المشد^(١) وغلّامه، والشاهد وغلّامه والكاتب وغلّامه وعشرة أنفار من الرجال في خدمة المشد^(٢) وربما كان هذا حكرا للمسلمين على الطرف الآخر. ثم هناك الشاهد والكاتب ولكل من هؤلاء بيوت يسكنون بها^(٣)، ووجد من يتولى إدارة الأسواق وعلى رأسهم "الفيكونت" (Viscount) ويساعده المحتسب وبرفقته مجموعة من رجال الأمن، هذا الترتيب الإداري الذي أخذ به الفرنج عن المسلمين منذ احتلالهم القدس سنة ٤٩٠ هـ / ١١٩٩ م، ووجد لهذا المحتسب محكمة خاصة مهمتها النظر في كل ما يخص سوق المدينة^(٤)، ووجد وكلاء "الريس" كبديل للسيد الإقطاعي، بنوب عنه في التعامل مع الفلاحين ويساعده الكاتب، ووجد ما يعرف بالترجمان الذي طالما احتاج إليه ديوان المناصفة للترجمة في اللغات المستخدمة بين الطرفين^(٥)، وكان للمشد السابق الذكر مهام كثيرة يقوم بها ومنها أمر المراعي وماشيئها ودوابها، وله تقدير أمر مصايد الأسماك ويشرف على قسمة وأردها بين الطرفين، وهنا لنا أن نتصور فلسفة المقاسمة على الأملاك العامة "الأميرية" بالمناصفة والمثلثة في الشؤون الاقتصادية الخاصة. وتتوسع صلاحيات المشد ليشرف على كل واردات بلاد المناصفة لكلا الإدارتين الإسلامية والإفرنجية^(٦)، وأما الكاتب فوظيفته كتابة الصكوك وتدوين المعاملات من ضرائب ورسوم وتحديد مقدارها في بلد المناصفة، ويشهد شاهد على كتاباته هذه^(٧) وربما هؤلاء جميعا ممن ورد ذكرهم هم ما أستخدم

١- "المشد: شد الدواوين، أي فتشها وضبط حساباتها وهو كالناظر" انظر: البقلي، التعريف، ص ١٩٣.

٢- بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٢٢٣، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٢٧٨ وما بعدها.

٣- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٦، ٤٧، ٤٨، المقريزي، السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٩٧٦، ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام، ص ٢١٠-٢١١.

٤- القلقشندي، ج ١٠، ص ٤٦١-٤٦٢، الطحاوي، الصليبيون، مجلة الاجتهاد، ع ٣٢، ص ١١٨.

٥- الطحاوي، ص ١٢٢.

٦- بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١٩٤.

٧- ابن النظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص ٢٦١، علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٦.

عليهم برؤساء بلد المناصقات، ولهم مهمة الحفاظ على الرهان المقبوضة من القادمين إلى مناطق المناصفة^(١).

ويبدو من خلال نصوص المعاهدات المتوفرة أنه قد توفر لكل هؤلاء الموظفين قوات أمنية تحافظ على سلامتهم وأمنهم^(٢) بالإضافة إلى القوات الأمنية الرئيسة التي تتبع لكل نيابة، لصيانة الأمن وحراسة الطوائف القاطنة في حدود بلاد المناصقات^(٣) ويتبع كل هؤلاء إلى ديوان خاص بكل نيابة^(٤).

أما في القرى والأرياف والتي كانت في أغلب سكانها من المسلمين، فاستمر القضاة والعلماء يباشرون خدماتهم، ولا سيما أمور الزواج والميراث، واعترف الصليبيون بالسلطة التقليدية للقرية^(٥) فأوجد الإفرنج رئيس مسلم ينظر في أمر القرية، وفي حال عدم وجود وكيل خراج للإشراف على دخل القرية كان الرئيس يقوم بهذه المهمة، وينوب عن الإفرنج في الإدارة، وكانت حالته الاقتصادية جيدة بحريته في التصرف، ويشرف على مسجد القرية ويعين له خطيبا، وحرص الإفرنج على ولاء أهل القرية، وخاصة في طاعة الأوامر الإفرنجية ودفع ما عليهم من رسوم وضرائب^(٦).

واختصت بعض بلاد المناصقات بما يسمى "محكمة الرئيس" التي تضم محلفين، أربعة من السريان أو نصارى الشرق واثنين من الفرنج، ويرأس المحكمة قاض، وتختص هذه المحكمة في القضايا العادية، ولم يكن لهذه المحكمة قوانين مدونة، إذ كانت

١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٠.

٢- نفسه، ص ٤٥-٤٦.

٣- نفسه، ص ٣٩.

٤- نفسه، ص ٤٨.

٥- ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧٥، «براور، عالم الصليبيين، ص ٩٨-٩٩.

٦- ابن جبير، المصدر نفسه، ص ٣٠٢، «ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٦، «صالح بن يحيى بن الحسين أمير العرب (ت ق ٩ هـ / ١٥م)، تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحترين من بني العرب، تحقيق لويس شيخو، بيروت، (١٨٩٨م)، ص ٣٩، «الحايك، العلاقات الاقتصادية، ص ٨٤.

تعتمد على الأعراف والتقاليد والثقافة القانونية السائدة في مجتمع بلد المناصفت خاصة وبلاد الشام عامة^(١).

مما سبق نستنتج أن مهمة كل أولئك الموظفين، ومبدأ عملهم كان عدم حصول أذى بحق الطرف الآخر والإنصاف في حقه بالمقاسمة، ومنع انتشار الفساد في بلد المناصفة والتدقيق في حساباتها^(٢) ويتفق الطرفان المسلم والصليبي على كل صغيرة وكبيرة في إدارة بلاد المناصفة، ومن خلال أولئك الأتباع والموظفين يتم جمع الضرائب وفض المنازعات بين الناس والحفاظ على أمن وسلامة المقيمين والقادمين إلى أرض المناصفت^(٣) وربما يسير هؤلاء الموظفون جنباً إلى جنب في عمل الحسابات اللازمة لمردود المناصفت وقسمتها بين الطرفين بعد اقتطاع الجزء الخاص بفلاح بلد المناصفة وتجاره وصانعه^(٤).

ويرى بعض المؤرخين الغربيين أن المشكلة الإدارية لدى الفرنج في بلاد المناصفت كانت في جمع الضرائب من المزارعين المسلمين، وكذلك جمع الضرائب من الفرنج في المقاطعات التابعة للإدارة الإسلامية^(٥) وهذا في اعتقادي مبالغ فيه وخاصة أن حصاد الأرض وجمع غلالها كان يتم في مكان واحد ووقت محدد، ويترك ثلثها لفلاح الأرض، ويتم قسمة الثلثين بين الطرفين المتعاقدين^(٦)

* * *

١- أرنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت (١٩٦٧م)، ص ٦٤، «الشامي، تاريخ العلاقات، ص ٢٠١».

٢- النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٧٦، ٧٧.

٣- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٥-٤٦، «الشريدة، إدارة بلاد الشام، ص ٩٣».

٤- القلقشندي، ج ١٤ ص ٣٤.

٥- الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٩٧٥، «سميل، الحروب الصليبية، ص ١٠٨».

٦- انظر: ابن القلانسي، الذيل، ص ٢٦٤-١٧٣، جوني، دمشق والمملكة اللاتينية، ص ١٧٢.

خاتمة البحث :

- هذه الدراسة أثارَت عندنا تساؤلاً بامكانية نقل صورها إلى حاضرنا من أجل مستقبل أفضل للبشرية جمعاء، وأفادتنا بالنقد والتمحيص من خلال ما توصلت له حيث إن :
- الكتابات التاريخية أوحَت بغلبة الطابع العسكري القتالي على العلاقات الإسلامية الصليبية في العصور الوسطى حتى ظن البعض أنه لا وجه آخر لهذه العلاقة .
 - الإدارة المشتركة "المناصفة" بين المسلمين والصليبيين في بعض المناطق الحدودية بدأت منذ بواكير الغزو الصليبي للمنطقة سنة ٤٩٠هـ / ١١٨٧م .
 - المناصفات الحدودية دليل على تفاهم وحوار عند إلتقاء المصالح بين الطرفين الإسلامي والصليبي .
 - القيادة الإسلامية والصليبية أدركت الأثر السلبي الكبير للجانب القتالي على حياة مجتمعاتها.
 - المناطق الحدودية المتناصف عليها كانت أكثر تطوراً وازدهاراً وانسجاماً عن غيرها من مناطق الاحتلال الصليبي في بلاد الشام .
 - الشعوب أكثر تفهماً للأوضاع المستجدة والحياة الجديدة في المناطق المتناصف عليها ، ولا سيما إذا وجدت عند قيادتها ميلاً للسلم وقبولاً للآخر .
 - الإدارة المشتركة في المناصفات أوجدت حواراً حضارياً وعقائدياً بين الأطراف المتنازعة وجعلتهم أكثر احتكاكاً وتفهماً للواقع وأقرب انسجاماً عن الاتجاه القتالي في هذه العلاقة .
 - لم تكن المناصفة بين الطرفين لأهداف اقتصادية فحسب إذ انعكست آثارها على العلاقات التجارية بين الطرفين ، بل حققت أهدافاً سياسية واجتماعية متنوعة .
 - ممالك بلاد الشام كانت أكثر خصوصية بهذا النظام من المناصفة عن غيرها ، وكانت ولا زالت تتعرض لأطماع خارجية وغزوات متتالية .

▪ وأخيرا أن مسألة المناصفة التي تناولها البحث لم تأت من خلال موثيق منفصلة بين الطرفين الإسلام والصليبي وإنما تعرضت لها اتفاقيات الهدن والمصالحة بينهما .

* * *

قائمة المصادر :

- ابن الأثير. عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م). أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، دار الشعب، مصر (١٩٧٠م)
- ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ١٢ ج، تحقيق أبي الفداء عبد الرحمن القاشي، بيروت، دار الكتب العلمية (١٩٨٧م)
- البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٢٩ هـ / ١٢٤١ م). مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد الجاوي، دار احياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة، ط ١ (١٩٥٤م)
- بيارس الدوادار، بيارس بن عبد الله المنصوري الناصري الدوادار الخطائي (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م). زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة "عصر سلاطين المماليك" تحقيق د. زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، (٢٠٠١م)
- ابن جبير. أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٨ م). الرحلة، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، ليدن، مطبعة بريل، ط ٢ (١٩٠٧ م)
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م) الاصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، مصر، دار نهضة مصر (١٩٧٢م).
- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م). الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢ (١٩٨٤م)
- الدمشقي، جعفر بن علي (ت ٦١٢ هـ / ١٢٠٦ م). الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشري الشوري، الإسكندرية، (١٩٧٧م)
- أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م). تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، بيروت، دار الجيل، ط ٢ (١٩٧٤م)

- أبو شامة. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢ ج. دار الجيل، بيروت (د.ت). ج.١، تحقيق محمد حلمي أحمد، القاهرة (١٩٥٦-١٩٦٢م)
- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة (١٩٦٤ م)
- صالح بن يحيى بن الحسين أمير العرب (ت ق ٩ هـ / ٥٨١م). تاريخ بيروت وأخبار الأمراء الباحثين من بني الغرب، تحقيق لويس شيخو، بيروت. (١٨٩٨م)
- الصوري، وليم (William of Tyre) (ت ١١٨٥م / ٥٨١هـ) تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة في ما وراء البحار، ٢ ج. ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، ط١ (١٩٩٠م)
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠ ج. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف (١٩٧٩ م)
- ابن عبد الظاهر، محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢م) تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة (١٩٦١م)
- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ط١ {١٣٩٦هـ-١٩٧٦م}
- ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١م). زبدة الحلب من تاريخ حلب، ٢ ج عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان، ج٢، دمشق، (١٩٥٤م)، ج٣ (١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)
- ابن الفرات، ناصر الدين، محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥م) تاريخ الدول والملوك "الكامل" حرر نصح ونشره د. حسن محمد الشماخ، جامعة البصرة، م٤، ج١ (١٩٦٧م)، م٤، ج٢ (١٩٦٩م)، م٥، ج١ (١٢٩٠هـ-١٩٨٠م)
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار "دولة المماليك الأولى" دراسة وتحقيق دوتيا كرافولكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ط١ (١٩٨٦م)

- فوشية الشارترى (Foucher de Charters) (ت ق ١٢هـ / ١٢م). تاريخ الحملة على بيت المقدس، ترجمة د. زياد العلي، دار الشروق، عمان ط١ (١٩٩٠م)
- فوشيه الشارترى، الوجود الصليبي في الشرق العربي، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم (١١٢٧ - ١٠٩٥) ذات السلاسل، الكويت (١٩٩٣م)
- ابن قاضي شهبة، محمد بن أبي بكر (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد بيروت (١٩٧١م)
- ابن القلانسي، أبو بكر حمزة بن القلانسي (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) تاريخ أبي يعلى المعروف بذييل تاريخ دمشق، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت (١٩٠٨م)
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٩٨٧م)
- المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢ ج، صححه ووضح حواشيه محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٧م)
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، معجم لسان العرب، ١٠ ج دار صادر، بيروت.
- ابن منقذ، أسامة (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م)، كتاب الاعتبار، نشر فيليب حتى، جامعة برنستون (١٩٣٠م)
- ابن النظيف الحموي، أبي الفضائل محمد بن علي بن نطيف الحموي (ت منتصف القرن ٧هـ / ١٢م)، التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، عني بنشره وتحقيقه د. أبو العيد دودو مراجعة د. عدنان درويش، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة الحجاز، دمشق (١٤٠١هـ / ١٩٨١م)
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣ ج، تحقيق سعيد عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة وفؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات دار إحياء التراث القديم، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة (١٩٥٣م)، و ج٢ (١٩٥٧م) و ج٣ نشر دار القلم، القاهرة (١٩٦٠م) و ج٤ تحقيق حسنين محمد ربيع، مراجعة سيد عبدالفتاح عاشور، جامعة القاهرة (١٩٧٠م)، ج٥، مركز تحقيق التراث، القاهرة (١٩٧٥م)
- الواقدي، أبي عبدالله محمد بن عمر (ت ٢١٩هـ / ٨٢٣م) فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، لبنان (١٩٧٠م)
- ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٧٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، د ج دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٩٧٩م)

* * *

قائمة المراجع :

- إبراهيم بن حمود المشيخ. المهادنات بين معاوية بن أبي سفيان والبيزنطيين في القرن الأول الهجري / القرن السابع الميلادي. مجلة التاريخ العربي. جمعية المؤرخين المغاربة، ع ١٠، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١٣١-١٤٩.
- أحمد حطيط. المدلول التاريخي لنصوص الهدن المعقودة بين المماليك والفرنج. هدنة عكا (١٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) نموذجاً. مجلة تاريخ العرب والعالم. عمان، س ١٩، ع ١٧٩، أيار - حزيران ١٩٩٩م / محرم - صفر ١٤٢٠هـ.
- أرست باركر. الحروب الصليبية. ترجمة السيد الباز العريني. بيروت (١٩٦٧م).
- براور. يوشع. عالم الصليبيين. ترجمة وتقديم وتعقيب قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن. دار المعارف، القاهرة، ط ١ (١٩٨١م).
- البقلي، محمد قنديل. التعريف بمصطلحات صبح الأعشى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٨٣م).
- البشاوي، سعيد عبدالله جبريل. الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١م / ٤٩٢-٦٩٠هـ. تقديم د. محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).
- توفيق، عمر كمال. الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين. الاسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. (١٩٨٦م).
- جوني، وفاء. دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين ٤٩٢-٦٩٠هـ / ١٠٩٨-١١٧٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ط ١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).
- الحايك، منذر. العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية. ٢ ج، تقديم د. سهيل زكار، دار الأوائل دمشق (٢٠٠٦م).
- الحيارى، مصطفى. صلاح الدين القائد وعصره. دار الغرب الاسلامي. بيروت، ط ١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

- الحباري، مصطفى . القدس في زمن الفاطميين والفرنجة . المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان .
نشر مكتبة عمان (١٩٩٤م)
- الخادم، سمير علي . الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، نشر مؤسسة الريحاني، بيروت (١٩٨٩م)
- رنسيمان، ستيفن . تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، (١٩٦٩م)
- سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان (١٩٧٤م)
- سمير شما، النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين، بيروت، دار أطلس (١٩٨٠م)
- سميل، ر. سي . الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١ (١٩٨٢م)
- الشام، أحمد . تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١ (١٩٨٥م)
- الشريدة، خالد سليمان . إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي ، عماد الدين للنشر والتوزيع، عمان (٢٠١١م)
- الشريدة، خالد سليمان . الإدارة الزنكية العامة في بلاد الشام، مجلة كلية التربية (القسم الأدبي) جامعة عين شمس، القاهرة، ع ١٤، ج ٢، (٢٠٠٨م) .
- الطحاوي، حاتم . الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط ١ (١٩٩٩م)
- الطحاوي، حاتم . الصليبيون مجلة الاجتهاد . دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت ع ٣٣، ١٩٩٦م .
- طرخان، إبراهيم . النظم الإقطاعية في الشرق الوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (١٩٦٨م)
- عبد الحافظ، عادل حمزة . العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي ١١٢٥ - ١٢٥٠ م / ٥٤٧ - ٦٤٨ هـ، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٨٩م)

- عبدالقادر، عبد الشافي غنيم . حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية في العصر النورمندي (٤٨٤-٦٦٧ هـ / ١٠٩١-١٢٦٨ م) رسالة دكتوراه، آداب، جامعة القاهرة (د، ت)
- عبد المجيد بهيني. أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصليبية من خلال رحلة ابن جبير (النصوص - التوظيف - الواقع التاريخي) مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ع ١١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
- عزب، خالد محمد . العلاقات الاقتصادية بين العالم الإسلامي والغرب، رواية تاريخية، مجلة الاجتماع، ع ٣٣، س ٨، بيروت (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م)
- على السيد، علي محمود . العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ١ (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م)
- على الغمراوي . أضواء جديدة على العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والفرنجة في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، مجلة الدارة، الرياض، ع ١، س ١٨، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ١٤١٢ هـ
- عوض، محمد مؤنس أحمد . في الصراع الإسلامي الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١ - ٥٦٩ هـ ١١٤٦ - ١١٧٤ م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط ١ (١٩٩٨)
- قاسم، عبده قاسم . ماهية الحروب الصليبية، الأيدلوجية - الدوافع - النتائج، منشورات ذات السلاسل، ط ٢ (١٩٩٣ م)
- قلعجي، قدري . صلاح الدين، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت (١٩٩٢ م)
- محمد ماهر حمادة. وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ٤٨٩ - ٨٠٦ هـ / ١٠٩٦ - ١٤٠٤ م، دراسة نصوص، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) .
- المطوي، محمد العروسي . الحروب الصليبية في المشرق والمغرب . بيروت ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي (١٩٨٢ م) .
- النبراوي، رأفت محمد. النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة (٢٠٠٠ م) .

- نسيم. جوزيف . العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى. الإسكندرية (١٩٦٧م)
- هامرتن، جون . تاريخ العالم، نشر بإشراف هامرتن، الترجمة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د . ت)
- هنتس. فالتز. المكاييل والموازن الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري. ترجمه عن الألمانية كامل الحسلي، عمان، الأردن، الجامعة الأردنية (٢٠٠١م) .

المراجع الأجنبية :

- Beehoolles (H). Historia diplomatical Fridrici Tom ٣ , Paris, ١٨٥٢-١٨٦١م
- Brand (C.M). The Byzantines and Saladin, Speculum Vol.٢٧, New York ١٩٦٢
- Cave and Coulson. A source Book for Medieval Economic history, New York , ١٩٦٥,
- C F. Conder (C . R) , The Latin Kingdom of Jerusalem (١٠٩٩-١٢٩١), London , ١٨٩٧
- C. F . Kantorowicz (E) . Fredrick The Second (١١٩٤-١٢٥٠) translated by Lorimer (E-O) London , ١٩٣٠
- Gilchrist .J. The Church and Economic Activity in the Middle Age, New York, ١٩٦٩,
- Nicholson (I.R) . JoselynIII and the fall of the Crusader State (١١٣٤-١١٩٩) Speculum Volume ٥ Leiden, ١٩٧٢,
- Slaughter (G) . The Amazing Fredrick , London ١٩٣٧
- Throop.P.A.Criticism of the Crusade a Study of Public Opinion and Crusade Propaganda, Philadelphia ١٩٧٥,
- Vinsofofs (G), Itinerary of Richard I and others to the Holyland, London, ١٨٤٨, New York ١٩٦٩

* * *